



الأممية الشيوعية والثورة العربية

الكفاح ضد الامبريالية، الوحدة، فلسطين

وثائق ١٩٣١



الأممية الشيوعية والثورة العربية

الكفاح ضد الامبريالية، الوحدة، فلسطين
وثائق ١٩٣١

ترجمها وقدم لها
الياس مرقص

دار الحقيقة - بيروت

الطبعة الأولى ، تموز ١٩٧٠

مقدّمة

محتويات الكتاب

- ١ -

هذا الكتاب يتضمن، بشكل رئيسي ثلاث وثائق صدرت عن الأحزاب الشيوعية في فلسطين ومصر وسوريا، وتعود لعام ١٩٣١ .

الوثيقة الأولى هي « قرار متخذ في اجتماع ممثلي الحزبين الشيوعيين السوري والفلسطيني » بعنوان « مهمات الشيوعيين في الحركة القومية العربية الشاملة » . وفحواه : كشف سياسة الامبريالية في تجزئة وتفكيك الوطن العربي، الدعوة للنضال الثوري ضد الامبريالية والملكية والاقطاعية والصهيونية ومن أجل وحدة عربية ثورية ترتكز على جماهير العمال والفلاحين، الهجوم « اليساري » على البرجوازية الوطنية وأحزابها : الكتلة الوطنية، الوفد، الدستور، الخ ...، الدعوة للسير

في طريق وحدة الحركة الشيوعية ووحدة الطبقة العاملة في الوطن العربي الكبير .

· الوثيقة الثانية هي « برنامج عمل الحزب الشيوعي المصري »* . وتتضمن تحليلاً مسهباً لأوضاع مصر ، تحت نير الامبريالية والملكية والاقطاعية والرأسمالية الكومبرادورية ، وفي ظروف الأزمة الاقتصادية الكبرى ، وعرضاً مفصلاً لستراتيجية وتكتيك الحزب الشيوعي المصري : الأهداف الأساسية والمطالب الجزئية ، النضال الثوري ضد الامبريالية والملكية والاقطاعية ومن أجل حكومة عمال وفلاحين ، بالارتكاز على تحالف العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة ، تحت قيادة البروليتاريا والحزب الشيوعي ، الحملة على حزب الوفد ، اتحاد الشعوب العربية في النضال القومي والاجتماعي من أجل التحرر والوحدة والاشتراكية .

الوثيقة الثالثة تضم : آ ـ « قرار المؤتمر السابع للحزب

---

* لا ذكر للهيئة التي أصدرتها . وقد كان الحزب الشيوعي المصري مسحوقاً آنذاك . ولعلها وُضعت من قبل دوائر الكومنترن المسؤولة باشتراك بعض الشيوعيين الفلسطينيين والمصريين ، لتكون « برنامج عمل » لشيوعيي مصر .

الشيوعي الفلسطيني » وعنوانه « مهمات الحزب الشيوعي الفلسطيني في الأرياف » . ب ـ « موضوعات صادقت عليها سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني » وعنوانها « العمل بين الفلاحين والنضال ضد الصهيونية » ، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام : المسألة الزراعية في فلسطين ، الإصلاح الزراعي أو الثورة الزراعية، النضال ضد الصهيونية. وفي هذا القسم الثالث يتبلور بوضوح وإسهاب الموقف الثوري الصلب من الغزو الصهيوني لفلسطين .

ولهذه الوثائق فائدتان عظيمتان :

أولاً ، إنها إسهام ثمين في دراسة تاريخ الحركة الشيوعية في الوطن العربي ، في فترة يفتقر فيها الباحث إلى النصوص افتقاراً يكاد يكون كاملاً .

وثانياً ، إنها تقدم عن أوضاع العالم العربي وقضايا النضال العربي القومي والاجتماعي تحليلاً عظيماً لا يزال يحتفظ بعد مرور ٣٩ سنة بقيمة استثنائية .

ولنلاحظ من الآن أن هذا التحليل الماركسي الثوري يقترب بشكل ملحوظ من المواقف شبه الغريزية للشعب

العربي في المسألتين الخاصتين النوعيتين للثورة العربية : الوحدة العربية وقضية فلسطين .

ومن الممكن أن تتخذ هذه الوثائق « نقطة ارتكاز ومراجعة » في البحث والتحليل الماركسيين الحاضرين لقضايا الثورة العربية التاريخية ، على أساس تمييز نقاط الصواب والخطأ في الستراتيجية والتكتيك المتضمّنين في هذه الوثائق ، على ضوء التجربة التاريخية للنضال العربي . ولعلّها ، في هذا المضمار ، أفضل ما صدر عن مختلف قطاعات الحركة الثورية في العالم العربي لفترة طويلة .

- ٢ -

ولقد سبق أن ذكرتُ في كتابي « تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن للعربي »* أن اجتماعاً عقد في موسكو بين

---

* المرجع المذكور ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة ، ١٩٦٤ : الفصل الأول .

ممثلي الحزبين الشيوعيين السوري والفلسطيني سنة ١٩٣١ قد أصدر قراراً يدعو فيه إلى الوحدة العربية الثورية ، كما ذكرتُ أيضاً أن اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية (الكومنترن) كانت في أواخر سنة ١٩٢٩ قد جرّمت سياسة الحزب الشيوعي الفلسطيني وفرضت عليه خطّ محاربة الصهيونية بلا هوادة .

اعتمدتُ في ذلك على الكتاب المعروف لدى القارىء العربي : « ولتر لاكور : الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسط، الطبعة العربية ، دار المكتب التجاري ، بيروت ، ١٩٥٩ ». ولكن الوثائق المتعلقة بهذه المواضيع لم تكن متوفّرة ، فبدا تأكيدنا للبعض وكأنه معلق في الهواء . ولسدّ هذه الثغرة ، « استنجدتُ » بالرفاق والأصدقاء ، في مجلة « دراسات عربية » ، العدد الخامس ، آذار ١٩٦٥ ، ص ٨٧ .

وبطريق الصدفة – وفي إحدى بسطات بيع الكتب المستعملة – عثر الأخ ناجي علّوش على كتاب لمؤلف أميركي ، هو : « سبكتور : أربعون عاماً ، الطبعة العربية ، دار غندور ، بيروت » ، يحوي هذه الوثائق أو أجزاءاً منها . فنقل منها عدداً من المقاطع الثمينة – « دراسات عربية » ،

السنة الثانية ، العدد ٣ ، والعدد ٦ – جاءت تؤكد ما أوردناه : ثمة خط ثوري قومي وحدوي في تاريخ الحركة الشيوعية في البلاد العربية ، برز في الدور الثالث من تاريخ الكومنترن (١٩٢٨ – ١٩٣٤) .

غير أن الطبعة العربية لكتاب سبكتور بدت لنا ، منذ النظرة الأولى ، ركيكة مبتورة ولا تخلو من تشويه . ولكن الطبعة العربية المشوّهة تُعلم الباحث بوجود الكتاب ويمكن أن تهديه إلى الطبعة الأصلية .

وقد حصلنا على الطبعة الأصلية الانكليزية للكتاب المذكور ، وعنوانها : « ايفار سبكتور ، جامعة واشنطن : الاتحاد السوفياتي والعالم الإسلامي ، ١٩١٧ – ١٩٥٨ » ، ١٩٥٨ .فتبيّن لنا أن دار النشر اللبنانية قد اقتطعت من الوثائق المعنية مقاطع أساسية ، أهمها القسم الأخير من الوثيقة الأخيرة (الثالثة / ب) ، وعنوانه « النضال ضد الصهيونية » ، فضلاً عن الأخطاء والالتباسات والتشويهات الكثيرة الواقعة في الترجمة العربية .

ومن الواضح أن المؤلف الأميركي ايفار سبكتور ، قد

أراد من كتابه – كما يقول في أكثر من مكان – تحذير شعوب الشرق الأوسط (« العرب والأتراك واليهود » !) من الاتحاد السوفياتي ، وفضح « مخططات الهدم الشيوعيه » في المنطقة . فالاتحاد السوفياتي ، على حد قوله ، يريد قلب جميع الأوضاع رأساً على عقب ، ولا مجال لتصديق تأكيداته عن التعايش السلمي* .

ولكن سبكتور خدم الحقيقة التاريخية ، بل خدم الحركة الثورية العربية والاتحاد السوفياتي ، من حيث لا يدري ولا يريد . وذلك بفضل هذه الوثائق الثمينة المجهولة التي حواها كتابه .

من أين جاء سبكتور بهذه الوثائق ؟

لقد ترجمها عن كتاب صدر في موسكو عام ١٩٣٤ ، عن معهد ماركس – انجلس – لينين ، بعنوان « وثائق برامج

---

* كتاب سبكتور موجّه إلى الرأي العام الأميركي والغربي .

أما الدار « اللبنانية » فرأت من الأوفق ، لتحقيق غرض « الفضح »، أن تُسقط المقطع الطويل المتعلق بـ « النضـــال ضد الصهيونية » ... ولكنها تركت نصوص الدعوة للوحدة العربية !!

الأحزاب الشيوعية في الشرق » ، بإشراف أربعة من مسؤولي الكومنترن هم ماديار ، ميف ، اوراخيلا شفيلي ، سافاروف ـ وعُرف الكتاب باسم « مجموعة ماديار ، ميف ، الخ » .

هؤلاء الأربعة كانوا يعملون في دوائر رئاسة الكومنترن ، حيث كانوا يُعنون بقضايا « الشرق » تحت إشراف كوزينن . الأول مجري ، والثاني أوكريني ، والثالث جيورجي ، والرابع روسي . وقد سقطوا (أو سقط ثلاثة منهم على الأقل) ، بعد قليل ، ضحايا تطهيرات ستالين الدامية* .

---

* ليس من قرينة تشير إلى أن لهذه الوثائق علاقة ما بسقوطهم ... وقد وُجّهت اليهم اتهامات شتى ، تقليدية ، لا تقدّم لنا شيئاً محدداً . ولكن سقوطهم يؤدّي بالطبع إلى سقوط مؤلفاتهم . ومن شأنه أن يساعد في « ضياع » هذه المجموعة التي صدرت بإشرافهم .

- ٣ -

هل هناك مجال للشك في صحة هذه الوثائق ؟

– كلا .

الوثيقة الثانية « برنامج عمل الحزب الشيوعي المصري » مذيّلة بالملاحظة التالية : منشور باللغة العربية في صحيفة « إلى الأمام » لسان حال الحزب الشيوعي في فلسطين ، ١٩٣١ ؛ نشر باللغة الروسية في مجلة « ريفو لوتسوني فوستوك (أي « الشرق الثوري » ، العددين ١ – ٢ ، ١٩٣٢ .

والوثيقة الثالثة « آ / قرارات المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني . ب / موضوعات صادقت عليها سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في فلسطين » مذيّلة بالملاحظة التالية : منشور باللغة العربية في صحيفة « إلى الأمام » لسان حال الحزب الشيوعي في فلسطين ،

١٩٣١ ، وباللغة العبرية في كراس منفصل ، ١٩٣١ ؛ ينشر باللغة الروسية لأول مرة .

هاتان الوثيقتان إذن لا تطرحان أي إشكال . فقد صدرتا باللغة العربيـة في صحيفـة الحزب الشيوعي الفلسطيني ، أهم الأحزاب الشيوعية في المشرق العربي ، بـل الحزب الوحيد الذي كان له تراث جدي وكيان راسخ (وكان يُصدر صحيفة وكراسات) . الشيء الوحيد الذي نأسف له أن الصحيفة ليست في حوزتنا . فلَكَم كان من الأفضل أن ننقل النصوص العربية ذاتهـا ، بدلاً من أن نترجم إلى العربيـة نصوصاً انكليزية تُرجمت عن الروسية تُرجمت بدورهـا عن العربية !

ولكن ماذا نقول عن الوثيقة الأولى : « مهمات الشيوعيين في الحركة القومية العربية – قرار صادر عن اجتماع الحزبين الشيوعيين السوري والفلسطيني » ؟

هذه الوثيقـة مذيّلة في كتاب سبكتور ، نقـلاً عن « مجموعة ماديار ، ميف ، الخ» ، بالملاحظة التالية : « منشور باللغة اليـابانية ، في صحيفة « المـاركسية » ، طوكيو ، آذار ١٩٢٨ » .

وقد استنتج سبكتور من حديث « اللغة اليابانية » هذا ، استنتاجات كبيرة ومروّعة عن تخطيط الثورة العالمية و « السرية » (!) ، وحِرْص الكومنترن على عدم لفت انتباه سلطات الانتداب الانكليزي والفرنسي الحاكمة في المشرق العربي (!) ، وفائدة هذه الوثيقة بالنسبة للتحريض الشيوعي في اليابان (!!) . أمّا ذكر سنة ١٩٢٨ لصدور قرار اتخذ سنة ١٩٣١ ، فهو أمر غريب حتماً* ، بقي دون ايضاح . هذا التذييل وارد ، حسب كتاب سبكتور ، في « مجموعة مادبار ، ميف ، الخ » الصادرة في موسكو سنة ١٩٣٤ .

ماذا يقول ولتر لاكور عن هذه القضية ؟

نلاحظ أولاً أن الطبعة العربية البيروتية لكتاب لاكور

---

* قد يكون هناك نص مشابه صدر عن إحدى دوائر الكومنترن أو إحدى الهيئات التابعة له (مثلاً ، عن « عصبة مقاومة الامبريالية ») في سنة ١٩٢٨ . ولكن قراراً صدر عن اجتماع في سنة ١٩٣١ لا يمكن أن يُنشر في سنة ١٩٢٨ ، أي قبل ثلاث سنوات .

تنطوي هي أيضاً على بعض الحذف . ومـــا يَهمّنا هنا أنه أُسقِط منها ، عند حديث اجتماع الحزبين الشيوعيين الفلسطيني والسوري المنعقـــد (في موسكو ، حسب لاكور) سنة ١٩٣١ ، شرحٌ في الهامش بالغُ الأهمية ذُكِر فيه ايفـــاد سبكتور وكتابه ! – كما أُسقطت منها ، بشكل عام ، قائمة المراجع (لا سيما السوفياتية) الموجودة في نهاية كل فصل . ولعل هذا الأسلوب من جانب دار « المكتب التجـــاري » غرضُه « التخفيف » على القارىء ، ولكنه بأي حـــال لا يخدم البحث العلمي أبداً .

فماذا يقول ولتر لاكور في الشرح الهـــامشي الوارد في الطبعة الأصلية الانكليزية لكتابه ؟

إنه يسخر من قصة اللغة اليابانية وعام ١٩٢٨ . ويؤكد أنه لم يجد أثراً للوثيقة المذكورة في العدد المذكور من الصحيفة اليابانية المذكورة .

ولكنه ، بالمقابل ، يعطينا إيضاحاً آخر !

فقد جاء في كلام سبكتور أن هذه الوثائق كلها إنما تنشر

هنا باللغة الانكليزية للمرة الأولى (بفضـــل ترجمته هو أي سبكتور) . ويعلـّق لاكور على هذا القول ساخراً : إن هذه الوثائق كلها ، ولا سيا الأولى منها ، قد ُنشرت في حينها ، باللغة الانكليزية ، و ُيحيل سبكتور إلى مرجع دولي معروف هو International Press correspondence *، (باختصار InPrecorr) ، ولم تكن إذن سرية أو شبه ـ سرية . — فهي برامج وقرارات حزبية ، ُمعلـَنة ، وهي تتفق مع كل خط الاممية الشيوعية والاتحاد السوفياتي آنذاك —. وكان سبكتور قد ذكر في كتـابه أن « مجموعة مـاديار ، ميف ، الخ » لم تنشر إلا على نطاق ضيق جداً ، حتى في الاتحاد السوفياتي .

---

* النشرة المركزية للكومنترن ، تصدر بالألمانية وكذلك بالانكليزية والفرنسية وغيرها . والوثيقة الأولى نشرت في عدد ٥ يناير ١٩٣٣ من هذه النشرة ، (الطبعه الانكليزية) .

- ٤ -

يبقى شيء : إن الوثيقة الأولى « مهمات الشيوعيين في الحركة القوميــة العربية الشامــلة – قرار متخذ في كونفرنس الحزبين الشيوعيين الفلسطيني والسوري عام ١٩٣١ » لم تُنشر بالعربية في حينها* . أو على الأقل ، إن أحداً لم يعثر على هذا النصّ العربي ، في حال وجوده !

وقد سألنا أحد الشيوعيينالسوريين القدامى عن الموضوع. فأجابنا بقوله إن تلك الفترة (١٩٣١ وبعدها) كانت فترة « تعريب الحزب » (كشعار تنظيمي أساسي) . وهذا كلام صحيح – فقد كانت الفترة فعلاً فترة شعار «تعريب الحزب»، في سوريا (ضد الأرمن) وفي فلسطين (ضد اليهود) وفي مصر (ضد الأجانب) وفي الجزائر (ضد الفرنسيين)، وقد

---

* في كتاب سبكتور ، نقلاً عن « مجموعــة ماديار الخ » ، لا نجد ذكراً لأي مرجع عربي .

ارتبط هذا الشعار التنظيمي ، في كثير أو قليل ، وعلى نحو أو آخر ، بالخط السياسي الثوري القومي – العربي – . إلاّ أن هذا الكلام ليس جواباً محدداً على سؤال محدّد كل التحديد :

هل الوثيقة المعنية قد صدرت في حينها (١٩٣١) . باللغة العربية ، في سوريا أو فلسطين ، في صحيفة أو كراس أو أي شيء آخر ؟؟

نرجّح ان الجواب هو : لا !

ولكن حلّ الأشكال حلاً كاملاً ونهائياً يقع على عاتق سوانا .

إن التكتيك « اليساري » المتصلّب المتضمّن في هذه الوثيقة الأولى (وفي الوثيقتين الثانية والثالثة) – الهجوم القاسي على البرجوازية الوطنية وأحزابها ، واتهام هذه الأحزاب جملة وتفصيلاً بالخيانة والتفاهم مع الاستعمار – يتفق تماماً مع كل ما نعرفه عن خط الأممية الشيوعية في الدور الثالث (١٩٢٨ – ١٩٣٤) من « يسارية » متصلبة في المانيا والصين وجميع بلدان للغرب والشرق ، وعن التصحيح العام

والعلني الذي أُجري بعد ذلك في المؤتمر السابع للكومنترن عام ١٩٣٥ (تبنّي خط « الجبهة الشعبية » و « الجبهة الوطنية »، التحالف مع البرجوازية الوطنية ومساندتها الخ..)، كما يتفق أيضاً مع ما نعرفه عن خط الأحزاب الشيوعية في المشرق العربي بالذات ، من تصلّب و « يسارية » وانعزالية في الدور الثالث نفسه .

- ٥ -

إن هذا الخط « اليساري » الطفولي بلغ عندنا ـ على ما يظهر ـ حداً لا يُطاق . وقد عاد مؤخراً إلى هذا الموضوع اثنان على الأقل من كبار قادة الحركة الشيوعية في بلادنا ، وأدانا ذلك الخطّ بقسوة غير مألوفة : خالد بكداش في خطابه في الذكرى الثلاثين للمؤتمر السابع للأممية الشيوعية ، المنشور في جريدة « نضال الشعب » . تشرين الثاني ١٩٦٥ (العمود الأول من نص الخطاب) ، وعزيز الحاج في كراسه

« حول التطور غير الرأسمالي في العراق » ١٩٦٥ (خاصة الصفحة ٣) .

ولا شك أن سياسة الأحزاب الشيوعية كانت تنطوي على « يسارية » طفولية . ولا بد أن نصدّق خالد بكداش حين يقول بأن الحزب كان ، في العهد الذي سبق المؤتمر السابع للكومنترن ، يواجه الجماهير بعقلية الوصاية ، ويتهمها بالجهل والغباء لأنها لا تقتنع بآرائه ، بدلاً من أن يراجع نفسه ويعدّل هذه الآراء . يمكن القول إن هذا الخطأ « اليساري » كان بالدرجة الأولى خطأ في التكتيك وبالدرجة الثانية خطأ في الستراتيجية . ومن الغريب أن بكداش والحاج لم يذكرا شيئاً عن الستراتيجية الثورية والعربية التي طُبعت بها مواقف الحركة الشيوعية في تلك المرحلة ـ تحليل أوضاع العالم العربي ككل، الاتجاه إلى الثورة الشعبية ضد الامبريالية وإلى الوحدة العربية بفضل هذه الثورة ـ وهي الستراتيجية التي أُلقي بها في البحر بعد تلك الفترة . ومن نافلة القول إن الموقف « اليساري » الصبياني المُدان ـ عقلية الوصاية على الجماهير ـ يمكن أن يتفق تماماً ، كما دلّت تجربة طويلة، مع استراتيجية يمينية ، برجوازية ـ إقليمية .

إذن ، كان هناك خطأ . وهذا الخطأ يمكن تلخيصه على الصعيد الخططي بعبارة كلاسيكية : الموقف من البرجوازية الوطنية ـ الاصلاحية ، أو الموقف من القوى الوسطية . وقد يترامى للبعض ـ في منظار اليوم ـ أنه خطأ طفيف ، أو محض خطأ في التكتيك . أفليست البرجوازية خائنة فعلاً ؟

ذلك منظار اليوم ، منظار واقع اليوم وممارسة اليوم ، الذي ليس منظورَ التاريخ الجدلي . فلننظر إلى الأمور عن كثب .

إن الوثائق الصادرة في سنة ١٩٣١ تتحدّث عن « حركة الجماهير الثورية ، حركة العمال والفلاحين والبرجوازية‌ـالصغيرة ، بقيادة البروليتاريا والحزب الشيوعي » .

ولكن ، « إذا أردنا تجنّب الخطأ في السياسة » ، وجب علينا أن نميّز تمييزاً واضحاً ودقيقاً بين ما يجب أن يكون وما هو كائن فعلاً ، بين الوجوب والوجود ، بين الهدف المنشود والواقع الحاضر . هذا الموقف ـ الموضوعية وعكسها الذاتية ـ هو الشرط الذي لا غنى عنه لتغيير ما هو كائن إلى ما يجب أن يكون ، الشرط الذي لا غنى عنه لبلوغ الهدف.

ثمة رابطة جدلية بين الحاضر والمستقبل المنشود ، بين الواقع والفكر ، بين الموضوع والذات . ولكن هذه الرابطة تختل جوهرياً وتضيع حين لا تعتمد على التمييز بين قطبيها .

إن الوثائق المذكورة لم تحقّق هذا التمييز بشكل واضح وكافٍ ، واستعاضت أحياناً عن الربط بالخلط . في هذه الشروط ، كانت الحرب على « البرجوازية الاصلاحية ـ القومية » ، إلى حد كبير ، حرباً على النضال الشعبي القائم فعلاً . وكان الحديث عن « حركة الجماهير الكادحة بقيادة البروليتاريا والحزب » هروباً من حركة الجماهير الحقيقية . ومثل هذا الموقف ، النظري والعملي ، لا يساعد على تطوير حركة الجماهير وعلى دفع عجلة التاريخ .

والحال ، من أجل تحويل ما هو كائن إلى ما يجب أن يكون ، والسير قدماً نحو الهدف ، وتطوير حركة الجماهير ، واجتناب الذاتية و « اليسارية » واليمينية في بلدان الشرق ، قدّم لينين أفكاراً ثمينة : تحوّل الحركة القومية إلى حركة مناهضة للرأسمالية ، أصالة الثورة في الشرق ، إمكانية القفز

من فوق المرحلة الرأسمالية للتطور ... غير أن هذه الأفكار كانت آنذاك طيّ الإهمال* .

يمكن القول إن الأحزاب الشيوعية في سوريا وفلسطين ومصر لم تتقيد بشرط « الصفاء العلمي الكامل في تحليل الحالة الموضوعية » ، كما يقول لينين . إن خطأها على الصعيد النظري والفلسفي هو الذاتية ، وعلى الصعيد السياسي « اليسارية » والانعزالية .

---

* عثرتُ (!) على هذه الأفكار في سنة ١٩٥٨ ، فنشرتُها فوراً . راجع ترجمتي لكتاب لينين : حركة التحرر الوطني في الشرق ، دار دمشق ، ١٩٥٨ ، ومقدمتي لهذا الكتاب . ويُسعدني أن يكتشفها نقولا شاوي (١٩٦٦) . راجع مقاله عن « قضايا حركة التحرر الوطني » المنشور في مجلة « قضايا السلم والاشتراكية » ، وجريدة « الأخبار » ، ومجلة « الطريق » . إن المجهود الذي بذله رئيس الحزب الشيوعي اللبناني كان كبيراً ، ما دام قد جمع « الشواهد » من المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية ، وتقع في أربعين مجلداً أو أكثر .

- ٦ -

هذا الخطأ – الذاتية الخ .. – يظهر على نحو خـــاص مختلف في الوثيقة الثالثة « مهمات الحزب الشيوعي الفلسطيني، العمل بين الفلاحين ، والنضال ضد الصهيونية » .

فالأشياء معروفة هنا وكأن الملاكين العرب ورجال الدين هم – جملةً وتفصيلاً – متحالفون أو شبه – متحالفين مـع الاستعمار والصهيونية . هذا ينطوي على تبسيط للأمور ، منبعه ومآله ، تجاهلُ أو اهمال أو تخفيض الطابع النوعي للقضية – مسألة الغزو الصهيوني الاسكاني – الاستعماري والنضال ضد هذا الغزو – ، وعرضُ القضية في إطار صيغ تصح كلياً في أماكن أخرى – تحالف الاستعمار والاقطاعيين والبرجوازية المحلية ، « المسألة القومية مسألة فلاحية » – ، ولكنها لا تنطبق هنا إلاّ بصورة جزئية وغير كاملة .

أن يكونَ قطاع كبير من طبقة الملاكين الاقطاعيين وكبار رجال الدين الاسلامي في فلسطين معاديـــاً للغزو الصهيوني

والاستعمار أمر لا يدخل في إطار تجريد اللينينية ـ الستالينية .ـ ذلك شيء مفهوم ! ـ ولكن هل اللينينية محض تجريد ؟ وهل نعطي الأفضلية للنظرية أم للممارسة ؟ .

إن الماركسية ـ اللينينيه الحية الخلاقة ، التي تفرض تشخيص الواقع دون تشويه ، كشرط أولي ، لا يضيرها أن يناهض قطاعٌ كبير من الاقطاعيين ورجال الدين الصهيونيةَ والامبرياليةَ . ذلك شيء طبيعي ـ إن معركة فلسطين تختلف عن معركة الصين أو أندونيسيا أو ايران أو كوبا ـ . وهذه الظاهره ، ما دامت قائمة ، لا يمكن أن نتجاهلها (بلهَ أن نقلبها إلى عكسها) . ولنقل إنها ـ حين تكون موجودة في الواقع ـ ظاهرةٌ تقدمية : إن نضال الفلاحين والعمال والبرجوازيين والاقطاعيين ورجال الدين العرب في فلسطين ضد البرجوازية والبرجوازية ـ الصغيرة والعمال اليهود ، نضالٌ تقدمي . بل نقول اجتزاءً : إن نضال الاقطاعي العربي ضد العامل اليهودي في فلسطين ـ حين يكون موجوداً ـ هو نضال تقدمي ، بالتأكيد ، بكل تأكيد . وكيف لا يكون كذلك ، ما دام نضال ملك الأفغان وبرجوازية مصر ضد حزب العمال « الاشتراكي » البريطاني ، هو ، في عرف

(ونصوص) لينين وستالين نضال تقدمي ؟ .

أما التحايل (الجزئي) على هذه الحقيقة ، والتحايل (الجزئي) على واقع الوضع النضالي القائم (في تشخيص الحركة والطبقات الاجتماعية) فهو لا يساعد بل يعرقل السير التدريجي (وغير التدريجي) في طريق تأمين قيادة الطبقة العاملة للحركة القومية العربية . وقد كان أكبر خطأ في هذا المضمار محاربة الجناح اليساري في هذه الحركة (« جماعة حمدي الحسيني ») .

بتعبير آخر : إن اللينينيةَ ، ماركسيةَ عصرِ الامبريالية والثورةِ العالمية ، ترفض طرح هذه القضية وكلِ قضية من هذا النوع ، في صيغ صراع داخلي (داخل القطر) بين طبقات تجريدية ، مجرّدة عن « القومية » ، عن العلاقة العالمية ، بل هي تنظر إلى ديالكتيك الصراع في شكله ومضمونه الدولي ـ القومي .

وليست وثيقة الحزب الشيوعي الفلسطيني بعيدة عن هذا الموقف الصحيح . ولكنها ، في ظرف الذاتية و « اليسارية » والستالينية الناشئة ، لم تستنبط في ذلك كل النتائج اللازمة .

- ٧ -

غير ان هذا كله لا يلغي الحقيقة الآتية :

إن الوثيقة الثالثة ، رغم هذا الخطأ « اليساري » من نوع خاص ، تقدّم لنا تحليلاً علمياً نافذاً عن القضية الفلسطينية ، يفوق بكثير كل ما أصدرته الحركة الشيوعية في فترات لاحقة .

فقد اتخذت الأحزاب الشيوعية في فلسطين وسوريا ومصر ، في سنة ١٩٢٩ وبعدها ، بناء على توجيهات الكومنترن وتحت قيادته ، موقفاً واضحاً لا لبس فيه ولا تحايل ، في النقطة الجوهرية : تأييد الحركة **القومية** العربية الرامية إلى الاستقلال والوحدة القومية ــ المعادية للامبريالية ــ ضد الحركة القومية اليهودية ــ فصيلة الصدام في قوى الامبريالية (أي «حليفتها») و « أداتها » و « احتياطيها الشعبي في المنطقة العربية ») .ــ بدلاً من الدخول في محاورات كلامية عن وجود وعدم وجود

امة يهودية ، يُطلَب منهـــا التعويض compensation عن نقص * .

ولقد ميّز إنجلز في عصر الثورة الديمقراطية الأوروبية (١٨٤٨) ـ ومن بعده لينين ـ بين شعوب ثورية **وشعوب رجعية** تؤدي دور مخافر أمامية للقيصرية الروسية . فماذا نقول في قضية فلسطين في عصر الثورة الاشتراكية العالميـــة المناهضة للامبريالية ؟

ولقد ميّز لينين (والكومنترن اللينيني) تمييزاً صارماً بين القومية المظلومة والقومية الظالمة ، وفرض على الأحزاب الشيوعية في اوروبا (وفي كل مكان) تأييد الأولى وشجب الثانية . وإذا كان الماركسيون الثوريون يؤيدون الايرلنديين ضد الانكليز ، فكيف يترددن في تأييد العرب ضد اليهود ؟

نترك للقارىء أن يطالع التحليل النافذ لقضية فلسطين ولمعركة الشعب العربي ضد الامبريالية البريطانية والغزو

---

* في سنوات ١٩٢٩ – ١٩٣٤ ، إن رفض فكرة « الأمـــة » اليهودية و « الشعب » اليهودي كان معناه الواضح الصريح الكامل أن لا مكان لليهود في فلسطين العربية .

الصهيوني . ونكتفي هنا بالاشارة إلى أن هذه الوثيقة قــد شجبت بصراحة الانحراف الصهيوني الذي طبع الحزب الشيوعي الفلسطيني في الفترة السابقــة ؛ وفنّدت مزاعم الصهيونيين اليساريين المتاجرين بالجمل الماركسية (وهذا يصيب بعض « الماركسيين » الاوروبيين أيضاً) حول التقدم الرأسمالي في الريف الفلسطيني على حساب تشكيلة الاقطاعية والبداوة بواسطة الرأسمالية اليهودية ، مبيّنة أن هـذا « التقدم » هو حرب إبادة من الصهيونية والامبريالية ضد الشعب العربي ، وضد الكفاح القومي العربي الهادف إلى الاستقلال والتقدم والوحدة والذي ينطوي على طاقة ثورية عظيمة .

وفي هذا المضمار ، أشارت الوثيقة بوضوح إلى أن **الشعب** اليهودي (**والعمال** اليهود) أداة في يـد الصهيونية . ولئن تفاءلت بإمكانيــة ظهور مرتبة دنيـا من العمال اليهود يؤيدون الحركة التحررية المناهضة للصهيونية والامبريالية ، فإن هذا التفاؤل ، الذي كان مرتبطاً بظروف الأزمة الاقتصادية ، والذي جاء عرضُه بعد تأكيد مبدأ وجوب استثمار تناقضات الأعداء ، قد ظل بعيداً جداً عن شعار « الجماهير الكادحة

اليهودية التقدمية» الذي ازدهر في سنة ١٩٤٨ وبعدها وقبلها.

تلك هي نقطة القوة الأولى في هذه الوثائق : تحليل قضية فلسطين .

- ٨ -

نقطة القوة الثانية – ولعلها الأهم – هي الموقف من الوحدة العربية . وقد وردت في الوثائق الثلاث ولا سيما في الوثيقة الأولى « مهمات الشيوعيين في الحركة القومية العربية ». ولا بأس أن نعرض هنا تاريخ هذه القضية .

إن قضية الوحدة العربية ، والقومية العربية ، و « الجامعة العربية » ، و « دولة عربستان » ، كانت من جملة القضايا الكثيرة التي حَظيت ، في العشرينيات ، باهتمام الخبراء السوفيات وغيرهم من رجال الكومنترن ، المعنيين بشؤون الشرق وثورة المستعمرات .

وكانت هذه الفكرة تُقرن أحياناً بالجامعة الاسلامية

والجامعة الطورانية ، وتُرفض باعتبارها دسيسة انكليزية . غـير ان بعض الخبراء كانوا يتعاطفون معهـا ويتنبؤون لهـا بمستقبل عظيم . وأشهر هؤلاء غوركو – كريازين الذي سقط بعد سنوات* . وهناك آخرون تفاءلوا بالملك عبد العزيز أو بالامام يحيى كموحّد (ومحرر) ممكن لبلاد العرب . نذكر منهم آكسلرود** الذي زار الجزيرة العربية بمهمة دبلوماسية .

وقد طُرق موضوع الوحدة العربيـة في المؤتمر السادس للكومنترن ، ١٩٢٨ . فقد تكـلم في هذا المؤتمر ، مندوب فلسطين ، حيدر (= أبو زيام = آفر بوخ) بثقة كبيرة عن الدور الثوري العظيم الخليق بالعرب أن يقوموا به في الشرق، ضد الانكليز . ولم يقابَل هذا الحديث المتفائل بالتسليم التام . وقال سلطان زاده (وهو من الطادجيك السوفيات. وأفكاره تجنح إلى « اليسار » ضد البرجوازية الوطنية) بأن الدول

---

* كان من جملة الاتهامات الموجهة اليه انه مؤيد للجامعة الطورانية ، دون أي ذكر لموقفه من الجامعة العربية . وكان الكومنترن مؤيداً للوحدة العربية ، في فترة سقوط غوركو – كريازين .

** وهو غير آكسلرود الأول (جمـاعة « تحرير العمل » ، ثم المنشفي) .

العربية هي من التفكك بحيث ليس ثمة أمل كبير في قيام دولة عربية موحّدة ـ وهو قول متشائم دون عداء ، بـــل هو ينطوي على عطف ـ . وقال آخرون إن الفكرة (فكرة الدولة العربية الواحدة أو « عربستان ») يجب أن تُعالج بحذر شديد لأنها قد تكون مؤامرة بريطانية أكثر منها حركة تلقائية لوحدة قومية طبيعية .

ومما يروى أن « عصبة مناهضة الامبريالية » ، وهي هيئة تابعة للكومنترن كان مقرها في برلين ثم انتقل إلى باريس ، قد دعت إلى عقد مؤتمر سمي مؤتمر « الجامعة العربية » في فرانكفورت في تموز ١٩٢٨ . ووجهت النداء إلى كل البلاد العربية من الخليج إلى المحيط . وأصدرت بياناً إلى الصحف . وقد ورد في نص الدعوة أن كفاح العرب المجزأ والمعزول هو سبب كل مصائبهم ، وقد جاء الوقت لتنسيق النضال ضد الأعداء الامبرياليين المتكاتفين ؛ حتى أن هذه الدعوة اعتبرت نفسهـا أول خطوة جدية في سبيل وحـدة العرب . إلا أن الذين استجابوا ، في ظروف القمع الاستعماري ، كانوا قليلين جداً . ولم ينعقد المؤتمر .

ونشرت « عصبة مناهضة الامبريالية » في سنة ١٩٢٩ أو ١٩٣٠ نداء للكفاح من أجل حرية الشعب العربي وصفت فيه « المشكلة العربية القومية » بأنها من أهم القضايا الدولية ، وأعلنت فيه بأن للعرب الحق في القضاء على تجزئتهم وتكوين دولة قومية متحدة مستقلة تامة الحرية، ودعت فيه إلى تأسيس مجالس ثورية على نطاق قومي عربي لتحقيق هذا الغرض .

وفي سنة ١٩٣٠ ، ألقى ماديار – وهو أول معـــاوني كوزينن ، مسؤول قسم « الشرق » في الكومنترن ـ خطاباً عن مهام الخبراء السوفيات في شؤون الشرق الأوسط ، ركـّز فيه اهتمامه على تقسيم البلاد العربية **المصطنع** ، وترك موضوع الوحدة العربية مفتوحاً .

هذه المعلومات التي أخذنا معظمها من كتاب لاكور يجب أن توضّح وتنقّح وتوسّع . وتقع هذه المهمة على عـــاتق مؤسسي وقادة الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية ، وعلى عاتق جميع الذين رافقوا الحوادث أو شاركوا فيها من العرب والسوفيات والصينيين والفيتناميين ...

وسيطالع القارىء بنفسه التحليل القيّم لقضية الامبريالية

والتجزئة والنضال الوحدوي الثوري ، الوارد في الوثيقـــة الأولى . لنلاحظ هنا أن هذه الوثيقة « مهمات الشيوعيين في الحركة القومية العربية » تتهم الأحزاب البرجوازية بالوقوف أمام التجزئة المصطنعة والتسليم بها ، وتؤكّد أن البروليتاريا تنظر إلى النضال العربي ككل .

بتعبير آخر : ليست « القومية العربية » موقفاً برجوازياً، بل الاقليميةُ . والموقف القومي العربي لا الموقف الاقليمي هو الطريق إلى ضرب الامبريالية جدياً ، أي انه الموقف الذي ينسجم **فعلاً وعملياً** مع الأممية البروليتارية .

وشيوعيو ١٩٣١ كانوا أبعد الناس عن ترك قضية الوحدة « للتطور الموضوعي » الخارج عن إطـــار مقولة الممارسة والممارسة الواعيـــة (النضال الثوري) . وليست الوحدة العربية « ضرورة » و « حتمية » وحسب . إنهـــا اختيارٌ option وإرادة . أو بتعبير آخر : الضرورةُ جرى **فهمُها** ووعيُها .

ولكنّ تغيّرت الامور بعد ذلك : تسليم « برجوازي » بالتجزئة، وفلسفتها إيجابياً: «أُمة جزائرية آخذة في النشوء»،

« أُمة سورية » وأُمم عربية ، ظروف موضوعية ، جغرافية واقتصادية وتاريخية ، ونفسية الخ ...*

وليس من قبيل الصدف أن يأتي هذا الموقف **الاقليمي** في إطار استراتيجية **يمينية** ، ويمينية جداً .

إن الخطأ لم يكن، **من جهة** ، في الستراتيجية الستالينية ـ المحلية للثورة (إنفصال المرحلتين ، الديمقراطية ـ البرجوازية والاشتراكية ـ البروليتارية ، والقول بالثـــورة البرجوازية المفرَغة من الديمقراطية ـ من الثورة الزراعية ـ) ، **ومن جهة اخرى** ، في تبني وحَطّ نظرية ستالين في «الامة» ، بل **الخطأ واحدٌ مترابط**. وفترات التشنّج التكتيكي «اليساري» جزء من هذا الخط الستراتيجي الأقليمي ـ البراجوازي ، الدائم بعد سنة ١٩٣٦ .

---

* سوّغ هذا الخطّ الجديد ، نظرياً وفلسفياً واستراتيجياً ، في المشرق العربي ، على يد خالد بكداش في عام ١٩٣٩ (مقدمة مجموعة « طريق الاستقلال » وعنوانها « العرب وأبحاث ستالين في المسألة الوطنية ») ، الذي نقل وعمّم حديث موريس توريز عن « الامة الجزائرية الآخـــذه في النشوء والتكوّن » العائد إلى قبل شهور قليلة .

ومن نافلة القول أن معضلة مصدر الوثيقة الأولى « مهمات الشيوعيين في الحركة القومية العربية » لا تؤثر جوهرياً في قيمتها الداخلية الذاتية . فسواء صدرت عن اجتماع للحزبين الشيوعيين السوري والفلسطيني أو عن دائرة في الكومنترن سنة ١٩٣١ ، فإنها جديرة بأن تستحوز كل إهتمامنا .

إنها دليل قاطع على أن خط توريز ـ بكداش في المسألة القومية العربية لم يكن نتيجة محتومة تفرضها نظرية ماركس ـ لينين ـ ستالين .

- ٩ -

إن الوحدة العربية وقضية فلسطين هما قضيتان من قضايا النضال العالمي المناهض للامبريالية، من قضايا الثورة الاشتراكية في العالم . انهما القضيتان النوعيتان Spécifiques للنضال المناهض للامبريالية ، في الوطن العربي. ولقد درج الماركسيون على القول إنهما فرع من الكل . أفليس الخاص فرعاً من العام ؟

أجل . ولكن الخاص ليس فرعاً من العام وحسب . إن الخاص هو هو العام ، جدل الماركسية ـ اللينينية .

يقول لينين : « لنبدأ بأية قضية ، بأبسطها ، بأكثرها شيوعاً : ... جان (هو) انسان ؛ ميدور (هو) كلب ... ثمة هنا (كما لاحظ هيغل بعبقرية) **ديالكتيك : ما هو خاص (هو) عام ...** »

ونحن نقول : الخاص **هو** العام كما أن جان **هو** انسان ، كذلك فالنضال من أجل الوحدة وفلسطين هو النضال ضد الامبريالية . وكما أن ميدور **هو** كلب ، كذلك فالتحايل على الوحدة وفلسطين (بلهَ التنكّر) **هو** لقاء مع الامبريالية .

هذه الحقيقة ـ التماثل أو الهوية Identité الجدلية بين « النوعي » والكلي ، بين الخاص والعام ، بين قضيتي الوحدة وفلسطين والنضال العنيد ضد الامبريالية العالمية ـ يتجلّى بشكل خاص في واقع أن الفترة التي تبنّت فيها الحركة الشيوعية الدولية والمحلية قضية الوحدة وفلسطين بشكل واضح لا لبس فيه (و « لا حدّ له ») كانت فترة صدام كبير

بين الاتحاد السوفياتي والأممية الشيوعية وبين العالم الرأسمالي الامبريالي في ظرف الأزمة الاقتصادية العالمية وبناء الاشتراكية السريع في الاتحاد السوفياتي : القطيعة الدبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي وانكلترة وفرنسا ، عدوان اليابان على الصين الشمالية الشرقية الخ ... في هذا الظرف ، لم تصل الحركة الشيوعية إلى موقف سليم من القضيتين النوعيتين للنضال العربي وحسب، بل اقتربت أيضاً ، على الصعيدين العملي والنظري ، السياسي والمعرفي ، من فهم العلاقة الجدلية بين القضيتين النوعيتين والقضية الكلية ، بين الخاص والعام .

واليوم تتحقق هذه العلاقة أكثر من أي وقت مضى . والنضال القومي والاجتماعي في الوطن العربي يبلغ أشدّه . والوحدة العربية الثورية الاشتراكية تقرع كل الأبواب .

فلنرفع أيدينا تحية لجميع الذين عملوا لها .

الياس مرقص

اللاذقية ٢٥ أيلول ١٩٦٦

أترك هذه المقدمة في شكلها الأصلي . وأضيف الملاحظات الآتية :

١ . إن مكسيم رودنسون قد استشهد بمقاطع من الوثيقة الأولى ، في مقال له صدر في عـــام ١٩٥٨ . (مقـــالات رودنسون في ١٩٥٨ – مجلة « سبل جديدة » – وفي ١٩٦٨ – مجلة « الانسان والمجتمع » ، باريس بالغة الأهمية والفائدة على صعيد نظرية المسألة القوميه . وقد عاش رودنسون في الثلاثينات في سوريا ولبنان) .

٢ . في البرنامج الجديد للحزب الشيوعي اللبناني الصادر عن المؤتمر الثاني ١٩٦٨ (مؤتمر النقد الذاتي والتصحيح) – ورد تلميح متكرّر إلى أن الحزب في الفترة الأولى من تاريخه قد أيّد فكرة الوحدة العربيـــة . وقد بحثتُ طويلاً هذه

النقطة في كتابي « الماركسية اللينينية .. في برنامج الحزب الشيوعي اللبناني وفي نقدنا لهذا البرنامج » (دار الحقيقة ، ١٩٧٠) . إن تلميحات البرنامج لا تدع مجالاً للشك : ثمة فترة وحدوية في تاريخ الأحزاب الشيوعية العربية هي فترة ١٩٢٨ — ١٩٣٥ .

٣ . أقرأ في « قصة المقاومة الفيتنامية كما يرويها أبطالها » (دار الآداب ، ١٩٦٨ ، ترجمة ريمون نشاطي) ، ص ٣٧ ، إنه كان لِ نغوين ـ آي ـ كووك (= هوشي منه) في باريس عام ١٩٢٢ ، في مكتب مجلة le Paria (= المنبوذ) اثنين من العرب ، كانا « جالسَين يكتبان ويصحّحان » ، ويظهران كأنهما ملازما القائد الكبير في الكفاح العالمي ضد الاستعمار والامبريالية ، وأرجّح إنهما من المغرب العربي ، من الجزائر — أو من الجزائر وتونس — (علي حاج عبد القادر ، محمود بن ليكهال ؟؟ ..) . وأقرأ في كرّاس جورج عزيز : هوشي منه ، سلسلة إقرأ ، دار المعارف بمصر ، ص ٦٤ ، إن مجلة le Paria نشرت مقالات لرشيد رضا . وتشير القرائن إلى أن شكيب أرسلان لم يكن بعيداً « عن الجو » . بالطبع ، إن الدعوة إلى عقد مؤتمر عربي عـــام من أجل الوحدة العربية

الثورية وتوحيد الكفاح العربي ضد الاستعمار ، التي ظهرت في الكومنترن وعصبة مناهضه الامبريالية والاستعمار آنذاك (على الأرجح في ١٩٢٧ أو ١٩٢٨) لم تكن مقتصرة على الشيوعيين (المؤتمر لم ينعقد كما ذكرنا في المقدمة) . والكومنترن أرسل مبلغاً من المال كمساندة للثورة السورية ، ١٩٢٥ – ١٩٢٦ (الأرجح ان المبلغ لم يصل لأن الوسيط اللبناني « أكله ») . هذه الواقعة وردت في مذكرات فؤاد الشمالي (مؤسس الحزب في لبنان) التي لم تذكر شيئاً بصدد الوحدة العربية (تنتهي المذكرات عند سنة ١٩٢٦ أو ١٩٢٧) . والأرجح ان التـَوَجـّه الوحـْدَوي بدأ إذن « في الخارج » ، في بعض دوائر وخبراء الكومنترن، في أوساط عصبة مقاومة الامبريالية والاستعمار ، في الغرب (هوشي منه ؟ العرب الجزائريون في باريس ؟) ، وحول هذه العصبة (انطلاقاً من أوساط عربية غير شيوعية) ، وإن هذا التوجّه وصل إلى شيوعيي الوطن بعد قليل في حدود تبقى غامضة إلى حد ما . (لا نستطيع أن نشاطر بعض محرري « الطليعة » القاهرية حديثهم عن قوة الشيوعيين في مصر الثلاثينات . نعتقد أن الحزب الشيوعي المصري بين ١٩٢٦ و ١٩٤٢ كان قريباً من لا شيء) .

٤ . أنشر الآن هذه الوثائق تجاوباً مع رغبة مشروعة لدار الحقيقة ، ولقرّاء كثيرين :

. حتى الآن ، لم يكتمل كتابي : الطبعة الثانية **الموسّعة** لِ « تاريخ الأحزاب الشيوعية في البلادالعربية ». وقد تحدّثت مراراً عن وثائق ١٩٣١ (في كتاب « مفهوم الحزب عند لينين ..» ، في كتاب « الماركسية - اللينينية ... في برنامج الحزب الشيوعي اللبناني وفي نقدنا لهذا البرنامج » ، الخ) . من المناسب إذنْ أن توضعَ هذه الوثائق بين أيدي الجميع ، دون تأخير إضافي .

ا. م.

اللاذقية ٢٩ / ٤ / ٩٧٠

معهد ماركس - انجلز - لينين

التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي (البولشفي) لعامة روسيا

يا عمال العالم اتحدوا !

وثائق برامج الأحزاب الشيوعية

في الشرق

إصدار

ل . ماديار

ب . ميف

م . اوراخيلاشفيلي

ج . سافاروف

نشرة حزبية

موسكو ١٩٣٤

ملاحظة : وردت هذه الصفحة في كتـــاب سبكتور ، بالروسية ، وتلتها الترجمة الانكليزية .

والواضح أن المرجع الروسي قصد (هنا في العنوان) بـ (الشرق) ، بلدان الشرق الأدنى .

تبدأ هذه « المجموعة » بمقدمة قصيرة عن تاريخ الحزب الشيوعي التركي يليها « برنامج عمل الحزب الشيوعي التركي » ، وهو مذيّل بالملاحظة التالية: منشور باللغة التركية في الجريدة السرية للحزب الشيوعي التركي ، « انقلاب جولو » (أي « طريــــق الثورة ») ، العددين ٣ — ٤ ، سنة ١٩٣١ ، يُنشر للمرة الأولى باللغة الروسية .

ثم تمضي إلى **البلاد العربية** .

ننقل بالـكامل .

البلاد العربية

في سنة ١٩٢٠ ، نظم حزب اشتراكي في مصر . وفي سنة ١٩٢٣ حوّل اسمه إلى « الحزب الشيوعي في مصر » ، وصار فرعاً من الأممية الشيوعية . وفي سنة ١٩٢٤ ، قاد (بمساعدة « اتحاد العمال » الثوري الذي كان تحت نفوذه) عدداً من الاضرابات الجماهيرية والمظاهرات في الاسكندرية . وفي العام نفسه ، قامت حكومة زغلول باشا الاصلاحية الوطنية ، التي جاءت إلى السلطة ، بتحريم الحزب ، واعتقلت وحاكمت قادته . وانتقل الحزب إلى العمـــل السري . وفي الأعوام اللاحقة، كان عمل الحزب ضعيفاً، ومحصوراً في إصدار صحف ونشراب حزبية ونشاط لا فائدة منه . ولم يحقق الحزب أي نجاح في نطاق العمل بين الجماهير ، لا سيما وإنه كان في قيادة

الحزب حتى عام ١٩٣١ عناصر غير مرغوب فيها ، قضت وقتها في الدسائس والتشاحن ، قبل أن تُطرد من صفوف الحزب والأممية الشيوعية .

إن برنامج عمل الحزب الشيوعي المصري ، الذي صدر بعد فصل القيادة القديمة ، يقدم تحليلاً للقوى الطبقيـــة في مصر ويرسم أهم واجبات الثورة المعادية للامبريالية في البلاد ، مبرزاً الارتباط الوثيق بين هذا النضال وبين الثورة المعادية للملَكية وللاقطاعية في مصر ، وداعياً الجمـــاهير لتقطع الصلة مع القوميين الاصلاحيين ومع الوفد الخائن ، بفضحه هذا الحزب الأساسي للبرجوازية وملاكي الأرض في مصر .

إن برنامج العمل يحدد سلسلة من المطالب الجزئية ، التي يجب لف عمال مصر حولها ، ويحدد مطالب الفلاحين الأساسية . إنه يقدّم أهداف الحزب حول أهم المسائل المتعلقـــة بالحركة النقابية والحركة الزراعية . إن برنامج عمل الحزب الشيوعي المصري يلعب دوراً كبيراً في إحياء وتحسين الحزب وهو دافع محرك لنمو وتقدم عمله بين الجماهير .

إن الحزب الشيوعي في سوريا قد تأسس في عام ١٩٢٤ ، ولكنه لم يُضَمّ إلى الأممية الشيوعية كفرع من فروعها حتى

سنة ١٩٢٨ . ولم يدخل الحزب المسرح السياسي علناً حتى سنة ١٩٣٠ . ومع ذلك ، فقد حقق الحزب بعض النجاح خلال وجوده القصير . فقد شارك الحزب بنشاط في إضرابات العمال السوريين وفي حركة الجماهير ضد الامبريالية الفرنسية ، ومؤخراً ، صار نشيطاً بين نقابات العمال . وبشكل خاص ، أبدى الحزب نشاطه الثوري الكبـــير في إضرابات السائقين وعمال المطابع (١٩٣٣) .

إن القرار المتخذ في اجتماع مشترك للحزبين الشيوعيين السوري والفلسطيني حول « عمل الشيوعيين في الحركة القومية العربية الثورية » يضع في المقدمة شعار توحيد الأقطار العربية في نضالها من أجل استقلالها . إن القرار يبين أن اضطهاد الأقطار العربية من قبل الامبريالية يرافقـــه تجزيئها ، حيث يجري تقسيمها وتفتيتها بالقوة بين الدول الامبرياليـة . وإذْ يحلـــل القرار أسباب هذا التقسيم وضرورة اشتراك الحزب الشيوعي في الحركة القومية الثورية ، فإنه يبرز شعار توحيد جمهوريات العمال والفلاحين للبلاد العربية. ولهذا مغزى عظيم، ليس بالنسبة لبرنامج فلسطين وسوريا وحسب ، بل بالنسبة لكل البلاد العربية بشكل عام .

وقد تأسس الحزب الشيوعي في فلسطين سنة ١٩١٩ . وعانى في البداية صراعات طويلة بين الكُتل . وضُمّ إلى الأممية الشيوعية في سنة ١٩٢٤ . وإن الحزب ، في خوضه عدداً من الأعمال المناهضة للامبريالية وللصهيونية ، قد اعتمد موقفاً أساسياً خاطئاً في المسألة القومية الفلسطينية ، أي في مسألة دور الأقلية القومية اليهودية في فلسطين إزاء الجماهير العربية . ونتيجة لذلك ، لم يقم الحزب بنشاط عملي بين الجماهير العربية ، وظلّ قطاعاً انعزالياً يعمل بين العمال اليهود وحدهم . وهذه العزلة انعكست في موقف الحزب أثناء الثورة العربية عام ١٩٢٩ ، حين قُطع الحزب عن حركة الجماهير .

وبعد نداءين وجّهتهما إلى الحزب اللجنةُ التنفيذية للأممية الشيوعية ، انعقد المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني في أواخر عام ١٩٣٠ . واتخذ المؤتمر عدداً من القرارات ، صححت الأخطاء السابقة ، وصارت أساساً لإعادة تنظيم الحزب وتعريبه .

الوثيقة الأولى

واجبات الشيوعيين

في الحركة القومية العربية الشاملة

(قرار متخذ في كونفرنس الحزبين الشيوعيين الفلسطيني والسوري عام ١٩٣١)

١ . قضية العرب القومية : الاستعمار والتجزئة . آلية السيطرة الاقتصادية وبرجوازية الأعمال .

٢ . السيطرة الاقتصادية الامبريالية : المصارف، التجارة، الصناعة، نهب الأراضي... الاقطاعية المحلية. اختلاف درجات التطور.

٣ . نضال الشعوب العربية . وحدة النضال العربي وآفاقه التحررية والوحدوية .

٤ . السيطرة الامبريالية في الوطن العربي وأغراضها العالمية . خيانة البرجوازية الوطنية الاصلاحية وأحزابها . ضرورة فضحها .

٥ . الطبقة العاملة ونقاباتها . الأزمة الاقتصادية العالمية وعواقبها . الثورة القومية والثورة الزراعية . المطالب الجزئية . اتحاد فيدرالي عربي على أساس عمالي وفلاحي . واجب الشيوعيين الكفاح في إطار عربي شامل .

٦ . نقد لأوضاع ومواقف الأحزاب الشيوعية المحلية : سوريا ، فلسطين ، مصر ، الجزائر : الانتهازية اليمينية ، الابتعاد عن النضال القومي ، الانحراف الصهيوني في الحزب الفلسطيني . الخطوات العامة الضرورية .

ملاحظة : هذه الصفحة أضيفت من قبل المعرّب .

واجبات الشيوعيين في الحركة القومية العربية

(قرار متخذ في مجلس الحزبين الشيوعيين الفلسطيني والسوري في سنة ١٩٣١)

١ . إن واجباً من أهم واجبات الكفاح الثوري التحرري المناهض للامبريالية في منطقة الشرق الأدنى الواسعة هو حل قضية العرب القومية. إن جماهير الشعب في كل الأقطار العربية ترزح تحت نير الامبريالية . بشكل أو آخر ، وإلى درجة أو أخرى ، كل الأقطار العربية محرومة من الاستقلال السياسي . ففلسطين وشرقي الأردن والعراق موضوعة تحت الانتداب وهي خاضعة كلياً لسيطرة الامبريالية الانكليزية ؛ وسوريا يحكمها الامبرياليون الفرنسيون ؛ ومصر تحت نير السيطرة البريطانية ، و « استقلال » هذه البلاد الذي أعلن في سنة ١٩٢١ هو سبّة للاستقلال الحقيقي ، نظراً لأن أهم المواقع ، المواقع – المفاتيح الرئيسية ، هي في أيدي الامبرياليين الانكليز ؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن الانكليز يفرضون حكمهم الدكتاتوري على السودان ؛ وطرابلس مستعمرة للامبرياليين الإيطاليين ؛ والحكم الفرنسي يسيطر على تونس والجزائر ،

أما مراكش فهي موزعة بين الامبرياليين الفرنسيين والاسبانيين. وأما اليمن والحجاز ونجد ، فعلى الرغم من أنها ليست خاضعة خضوعاً مباشراً للسيطرة الامبريالية ، إلا أنهـــا محرومة من مقوّمات وجود مستقل ، وهي مطوَّقة من قبل مستعمرات الامبرياليين ، ومرغمة على الخضوع لأوامر الامبريالية .

إن مجموع نظام السيطرة الامبريالية على الشعوب العربية يرتكز ، ليس على استعبادها وإخضاعها الكاملين وحسب ، بل على واقع أنها ُجزّئت كيفياً الى أجزاء بأمر الامبريالية العالمية . إن هذه التجزئة للشعوب العربية بين الامبرياليين الانكليز والفرنسيين والايطاليين والاسبانيين تعكس ميزان القوى السائد بين هؤلاء الامبرياليين وقد جرى إحكامها بقصد تأمين استمرار هذه السيطرة . وهي في أشد تناقض صارخ مع المصالح الحيوية للشعوب العربية . فالحدود السياسية التي تقسم البلاد العربية ، قد أقامها وفرضها الامبرياليون ، الذين يطبقون بذلك مبدأ « فرّق تسد » . وهذه الحدود تضعف جماهير الشعوب العربية في نضالها ضد النير الأجنبي ومن أجل استقلالها السياسي ووحدتها القومية وفق الارادة الحرة لجماهير الشعب .

إن جوهر القضية العربية القومية يكمن في واقع أن الامبرياليين الانكليز والفرنسيين والطليان والاسبان قد مزّقوا الجسد الحي للشعوب العربية ، وأبقوا البلاد العربية في حالة من التجزؤ الاقطاعي ، وحرموا كلاً منها من مقومات التقدم الاقتصادي والسياسي المستقل ، وجمدوا التوحيد القومي السياسي للبلاد العربية .

لقد حُطمت سوريا كيفياً إلى خمسة أقسام ، لكل منها حكومة مختلفة وقوانين مختلفة الخ . واستولى الانكليز على السودان بالقوة . إن الامبريالية ، بتحويلها كل الأقطار العربية إلى ملحقات زراعية ومنتجة للمواد الخام تتبع كل منها الدولةَ المستعمِرة التي تسيطر عليها ، وبتشويهها وإعاقتها نمو القوى المنتجة وبجمل تطورها ، إنما تسعى بذلك لحماية وإدامة استعبادها . وهكذا تكون العناصر الاقطاعية هي الغالبة ، في حين أن نمو العناصر الرأسمالية ، في أغلبه ، ينحصر في إنشاء برجوازية أعمال ، مرتبطة في كثير أو قليل بملاكي الأرض الإقطاعيين ، وتكون وظيفتها تصريف منتجات المتروبول وضخّ المواد الأولية للمتروبول . وهكذا ، فان الامبريالية تحمي النظم الملكية الإقطاعية القديمة (مصر ،

مراكش ، تونس) ، وتنشىء نظماً ملكية جديدة شبه – إقطاعيـــة (العراق ، شرقي الأردن) ، تعتمد على سلالات صغيره متنوعة ، أو تنشىء نظامهـــا الكولونيالي الامبريالي الخاص بدون مساعدة عملائها الملكيين (فلسطين ، سوريا ، طرابلس ، الجزائر) ، جامعة الاضطهاد والنهب مع الحـــكم الانتدابي باسم عصبة الأمم .

٢ . إن الشيء العام والحاسم بالنسبة لكل البلاد العربية ، فضلاً عن كون الامبرياليين يحتلون المواقع – المفاتيح السياسية ، هو أن الرأسمال الأجنبي والمالي يمسك بأيديه كل المواقع – المفاتيح الاقتصادية الحاسمة . فأضخم المصارف ، والمصانع ، وسكك الحديد ، والموانىء ، والملاحة ، والمناجم ، وأهم شبكات الري ، والمواقع – المفاتيح في التجارة الخارجية ، وديون الدولة ، الخ . هي في أيدي الرأسمال المالي الأجنبي . فضلاً عن ذلك ، إن معظم الناهبين الامبرياليين للبلاد العربية قـــد استولوا على أجوَد الأراضي (في مراكش ، الجزائر ، تونس ، طرابلس ، مصر ، سوريا ، فلسطين) ، بينما استخدم الامبرياليون الانكليز الصهيونية المضادة – للثورة لاحتلال

ونهب الأراضي في فلسطين . ويُدفع الفلاحون والبدو العرب نحو أفقر الأراضي ويُحرمون من الأرض والمراعي. وتَستخدم الامبريالية مواقعها السياسية والاقتصادية من أجل فرض استثمار لا رحمة فيه على الجماهير العربية .

إن الامبرياليين ، في اضطهادهم واستثمارهم للشغيلة ، يعتمدون على الزمر الملكية الرجعية ، وعلى ملاكي الأرض والشيوخ الاقطاعيين وشبه ـ الاقطاعيين ، وعلى البرجوازيين الكومبرادور المحليين ، وعلى المرتبة العليا من رجال الدين . إن الشيء المميز والعام والحاسم في النظام الزراعي للبلاد العربية هو أن قسماً كبيراً من الأرض والمواشي والمراعي مما لم يقع بعد في أيدي الأجانب من ملاّكين كبار ، وأصحاب المزارع ، والمصارف ، والمستوطنين ـ المعمّرين ، والدولة ، هو في أيدي كبار الملاكين الاقطاعيين وشبه الاقطاعيين والشيوخ ورجال الدين . ويخضع الفلاحون والبدو لأبشع أشكال الاستثمار الاقطاعي (مخامسة ، محاصصة) . وعلى أساس الاستثمار الاقطاعي للفلاحين ، وفي شروط نمو العلاقات البضاعية والمالية ، والنهب الامبريالي للأراضي ، وتحلّل المشاعيات ، ونهب الأراضي المشاعة من قبل كبار الملاّكين

والنظام الاستعماري ، وطرد البدو من مراعيهم ، يزدهر الربا على نطاق واسع . وتُفرض ضرائب عالية للغاية ، لا يزال بعضها ضرائب عينية (الأعشار في سوريا ، وفلسطين، الخ) ، تشكل عبئاً إضافياً فوق الحالة التي لا تحتمل لجماهير الشعب الأساسية .

إن مختلف مناطق البلاد العربية هي في مراحل مختلفة من التطور الاقتصادي والنضال الطبقي . في سوريا وفلسطين ومصر ، إن النضال في سبيل الاستقلال الوطني والتوحيد القومي للشعوب العربية على أساس الحكومات الشعبية ، يندمج حتماً مع النضال في سبيل ثورة زراعية فلاحية ، موجهة ضد المغتصبين الامبرياليين وعملائهم (الصهيونيين في فلسطين) وفي الوقت نفسه ضد ملاكي الأرض الإقطاعيين المحليين . في العراق ، ما زالت تسيطر الملكية الإقطاعية القبيلية ، الأبويه ، التي تتعرض للاستيلاء من قبل الشركات الزراعية التابعة للأسياد المحليين وبرجوازية الأعمال ، والعاملة تحت مراقبة الامبريالية . وهنا ، يكمن مركز الثقل في الحركة الزراعية في تعبئة جماهير الشعب للنضال ضد الغاصبين ، على أساس النضال ضد الامبريالية وأعوانها المباشرين . وإلى درجة

أعلى ، هذا ينطبق على بلاد كطرابلس الغرب ومراكش ، حيث لا يزال جمهور السكان الأساسي مربوطاً بنمط الحياة البدوية وبالنظام الأبوي الإقطاعي ، وحيث لا تستطيع المدن أن تنشر نفوذها الثوري . في الجزائر الشمالية ، توجد ، في كثير أو قليل ، سيطرة كولونيالية قائمة ، مع استغلال قاس لجماهير السكان الحضر ونمو كبير نسبياً للمدن والعلاقات الرأسمالية . في الجزائر الجنوبية، توجد قبائل من البدو الرحل لم تخضع بعد للامبرياليين الفرنسيين . وفي ظل نظام اجتماعي اقتصادي متخلّف ، لا يشرع الفلاحون غالباً في تشكيل قوة مستقلة إلا خلال سير انحلال الجماعات والمشاعيات شبه البدائية . إن حساب كل التغيّرات الخاصة لهذه الظروف حساباً دقيقاً أمرٌ ضروري تماماً من أجل وضع تقرير صحيح عن مسألة العلاقة بين الثورة المعادية للامبريالية والثورة الزراعية للشعوب العربية . يجب على الأحزاب والجماعات الشيوعية في البلاد العربية أن تعير انتباهاً خاصاً لدراسة هذه الشروط وأن تستخدمها لمصلحة النضال الثوري .

٣ . إن النضال في سبيل انعتاق الشعوب العربية ومن

أجل تحطيم النير الامبريالي، الذي يسيطر في أشكال متنوعة ، بالاتفاق مع مراحل التطور المختلفة في مختلف البلدان ، قد غطّى جميع الأقطار العربية . ففي مراكش وجنوبي الجزائر وطرابلس ، يظهر نضال التحرر القومي في انتفاضات مسلحة تكاد تكون متواصلة ، تقوم بها القبائل ضد الامبريالية الفرنسية والايطالية والاسبانية . وفي تونس ، نجح حزب الدستور في تزعّم غضبة الجماهير ، ثم تركها بلا قيادة . وفي مصر ، يتميز تطور ما بعد الحرب بموجة من الكفاح القومي ، بلغت غيرَ ما مرة درجة الانتفاضات الجماهيرية . وفي سوريا ، قامت انتفاضة مسلحة عام ١٩٢٥ ثم قضي عليها ، ولكن موجة جديدة من الكفاح المعادي للامبريالية ظهرت سنة ١٩٢٩. وفي فلسطين، إن الغضب الشعبي المناهض للامبريالية البريطانية وعميلتها الصهيونية المضادة للثورة ، قد أفضى غير ما مرة إلى انتفاضات مسلحة ضد الامبرياليين البريطانيين والصهيونيين . وفي العراق ، لا يفتر الكفاح الوطني الموجَّه ضد الانتداب الانكليزي . ونجد في كفاح الوهابيين ، في لباس ديني خاص، بعض عناصر من الكفاح ضد عملاء الامبريالية البريطانية الخ .

إن ما يميز كل هذه الحركات أنها أثارت استجابة حية

وعطفاً عاماً في كل الشرق العربي . فرغم الحدود السياسية المصطنعة ، ورغم التجزؤ الاقطاعي ، ورغم أن الحركة كانت موجهة تارة ضد الانكليز وطوراً ضد الفرنسيين وحيناً ضد الطليان أو الاسبان ، فإن الكفاح القومي في أي من البلدان العربية كان ينعكس ، بدرجة أو أخرى ، على جميع البلدان العربية من فلسطين إلى مراكش .

إن نزوع الجماهير العربية إلى التوحيد القومي مع حدود سياسية تُقام على أساس تقريرها الحر ، لا بناءً على أمر الامبرياليين ، لا ينفصل عن جهدها لتحرير نفسها من نير الامبريالية الانكليزية والفرنسية والايطالية والاسبانية . فالجماهير العربية تشعر إنها ، لكي تقتلع نير الامبريالية ، عليها أن توحد قواها ، مرتكزة على لغة مشتركة ، وشروط تاريخية مشتركة ، وعدو مشترك . إن اندماجها في النضال الثوري المناهض للامبريالية وحجم هذا النضال يشيران إلى أن الشعوب العربية تملك كل المقدمات للقضاء على النير الامبريالي وتحقيق الاستقلال السياسي الوطني وإنشاء عدد من الدول العربية التي تستطيع فيما بعد أن تتوحّد بإرادتها الحرة على أساس مبادىء فيدرالية .

٤ . إن تحويل البلاد العربية إلى ملحقات لدول المتروبول، زراعية ومنتجة للمواد الخام ، وافتراق نظمها الاقتصادية ، يُفضي إلى واقع أنَّ تشكل طبقات المجتمع الرأسمالي ونمو عناصر السيادة القومية يحصلان ببطء شديد وبصورة غير منتظمة . ويستفيد الامبرياليون من هذه الحالة كل الفائدة لتأمين مصالحهم الخاصة ، وذلك بجمعهم تحت قيادتهم العناصر الاقطاعية الرجعية وبسعيهم لجعل البلاد العربية قواعدَ متينة لسياسة الاغتصاب الامبريالية والعدوانية التي يسيرون عليها . وبصورة خاصة ، يستخدم الامبرياليون الانكليز سيطرتهم على العراق وفلسطين ومصر ، من أجل حماية طريق الهند ، وتهيئة حرب ضد الاتحاد السوفياتي ، وإنماء مصالحهم في شرقي البحر المتوسط . ويسعى الامبرياليون الفرنسيون لتحويل السكان العرب في مستعمراتهم إلى طعام للمدافع في حرب استعمار وتدخل قادمة ضد الاتحاد السوفياتي . إن ملاكي الأرض الاقطاعيين والأسياد الاقطاعيين في كل مناطق السكان الحضر قد انتقلوا أخيراً ، في كثير أو قليل ، إلى جانب الامبريالية . وفي صفوف البرجوازية العربية والملاكين المرتبطين بها ، تسيطر الاصلاحية القومية ، وترتدي أكثر

فأكثر طابع الثورة المضادة والاستسلام . إن البرجوازية وعناصر ملاكي الأرض البرجوازيين عاجزون عن القيام بنضال ثوري ضد الامبريالية . وهم يتحولون أكثر فأكثر في اتجاه صفقة مضادة للثورة يعقدونها مع الامبريالية ، في إطار تنازلات محدودة دستورية - زائفة ، وظيفتها تمويه السيطرة الامبريالية . إن حركة الجماهير في صيف ١٩٣٠ في مصر قد كشفت بوضوح ماهية الوفد الخائنة ، حيث ان الوفد قد ألغى شعار « الاستقلال » واكتفى بالسعي وراء الدستور ، ودلّل على أنه يخشى يقظة جماهير الفلاحين أكثر من الاستسلام التام للامبريالية (ووافق على عقد معاهدة بين انكلترة ومصر) . إن موقف الكتلة الوطنية في سوريا هو أنها تمثل دور « المعارضة » ، وترفض إطلاقاً المشاركة في أي نشاط ثوري وفي أي نضال حقيقي. إن كثيرين من القادة السابقين لانتفاضة ١٩٢٥ يجلسون اليوم بهدوء عند أقدام الجنرالات الفرنسيين . والكتلة الوطنية تُعِدّ صفقة مع المضطهِدين الفرنسيين . وفي فلسطين ، دخلت اللجنة التنفيذية العربية طريق التنافس الخائن مع الصهيونية في المساومة على تنازلات تجريها الامبريالية الانكليزية مقابل ضمان « السلم والهدوء » من جانب الجماهير

العربية . فالاصلاحية القومية تتحول أكثر فأكثر إلى ثورة ـ مضادة واستسلام ، الأمر الذي يؤدي ، لا سيما في ظروف تأثير الأزمة الصناعية والزراعية العالمية ، إلى نمو غضب واستنكار الجماهير الكادحة . غير أن الاصلاحية القومية لا تقابَل بمعارضةٍ مُحكَمة من جانب الجماهير الواسعة للعمال والفلاحين العرب ، الذين لم يتمكنوا حتى الآن من تنظيمِ صفوفهم بصورة مناسبة ومواجهةِ الاصلاحية البرجوازية والبرجوازية ـ المالكة للأرض ببرنامجهم الثوري الخاص . في العراق ، يلجأ الحزب الوطني إلى عصبة الأمم ، ولكنه لا يخوض نضالاً ضد الغاصبين الانكليز ، بل يحصر نفسه في الجُمل . وفي تونس ، انتقلت فلول حزب الدستور إلى صف الامبرياليين الفرنسيين . وفي الجزائر ، تطالب الاصلاحية ـ القومية البرجوازيةُ ـ المالكةُ للأرض بمنح الجنسية الفرنسية للعرب . فالاصلاحية ـ القومية البرجوازية والبرجوازيةُ ـ المالكةُ للأرض تعارض السيطرة الامبريالية فقط في حدود المصالح الاستثمارية للبرجوازية المحلية وملاكي الأرض . وهم أنفسهم يريدون استثمار جماهير العمال والفلاحين . وهم ، بقدر ما تخالف مصالحهم الاستثمارية المباشرة ، خصوصاً في حالة

أزمة وضغط امبريالي على المستعمرة ، المصالحَ القومية العامة ، يخونون المصالح القومية العامة خيانة مكشوفة ويساعدون الامبريالية في نضالها ضد الجماهير . إن الطبيعة المضادة للثورة والخائنة للاصلاحية القومية لم تُكشف بعد بشكل مناسب للجماهير الواسعة ، جماهير العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن . والاصلاحية القومية في البلدان العربية لا تتخطى في نظرتها الحدود السياسية التي أقامتها الامبريالية ، التي جزّأت الشعوب العربية تجزئة مصطنعة . وهي تستسلم أمام الملوك الاقطاعيين ، الذين هم أدوات للامبريالية ، وترفض النضال ضد الاستعمار على نطاق عربي شامل . إن السمةَ المميّزة للمرحلة الحاضرة هي أنه ، في الوقت الذي تستسلم فيه الاصلاحية القومية للامبريالية صراحة في كل الأقطار العربية ، فإن جماهير العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن تنجرف بقوة متزايدة دوماً في النضال من أجل مصالحها اليومية ، في النضال التحرري القومي . لذا ، فإنّ كونَ الاصلاحية القومية المضادة للثورة لم تُفضح بعد أمام الجماهير على أي نطاق مقبول ، أمرٌ يهدّد بعواقب وخيمة ، ذلك لأنه يسهّل الطريق لخيانة جديدة ضد الثورة ولضربات غَدْر

ُتوجّه اليهـا من كمين . والآن ، أكثر من أي وقت سابـق ، يجب ، ضدّ استسلام الاصلاحية القومية وثورتها ـ المضادة ، إقامةُ جبهة معادية للامبريالية ثورية عربية ـ شاملة ، تضم جماهير العمال والفلاحين والبرجوازية ـ الصغيرة في المدن ، جبهة ترتكز على إنماء حركة العمال والفلاحين ، وتستمد منهـا قوتها .

٥ . في عدد من الأقطار العربية ، لعبت الطبقة العاملة وتلعب دوراً متعاظماً في كفـــاح التحرر القومي (مصر ، فلسطين ، العراق ، الجزائر ، تونس ، الخ) . في بعض الأقطار ، إن التنظيمات النقابية للطبقة العاملة ، بعد تدميرها، هي الآن في سير تشكّلها أو إعادة بنائها ، رغم أن معظمها في أيدي الاصلاحيين ـ القوميين . فالاضرابات العماليـــة ، والمظاهرات،واشتراك العمال النشيط في الكفاحضد الامبريالية، وانسحاب بعض مراتب الطبقة العاملة من صفوف الاصلاحيين ـ القوميين ، كلها تشير إلى أن الطبقة العاملة العربية الفتية قد بدأت النضال في سبيل إحراز دورهـــا التاريخي في الثورة المناهضة للامبريالية والزراعية ، في الكفاح من أجل الوحدة

القومية . وفي أقطار كثيرة ، تنظمت أحزاب شيوعية وهي في سير التشكّل .

إن الأزمة العالمية الصناعية والزراعية ، بطريق أو آخر، قد غطّت جميع البلاد العربية ، ضاربة بقوة خاصة العمالَ والجماهير الفلاحية. وانخفاض الأجور والبطالة يزيدان سوءاً على سوء مستوى معيشة البروليتاريا ، الأمر الذي يدفعها في طريق الكفاح الطبقي الثوري. إن الفلاحين الفقراء والمتوسطين الذين أصابهم الخراب ، والعمال الذين هم في عوز دائم وتحت خطر التسريح ، وأبناء الطبقة الفقيرة في المدن ، وجمهور البرجوازية ـ الصغيرة الذي هو اليوم أكبر عدداً مما كان في الماضي ، يشعرون بنير الامبريالية ويشرعون في النهوض للكفاح باسم التحرر القومي . وتجهد الامبريالية كي تلقي على كاهلهم كل عواقب الأزمة وكي تسوّي أوضاعها على حسابهم. غير أن الموجة الجديدة لغضب الفلاحين ضد مزاعم الملاكين والمرابين وعملاء الامبريالية ، التي لا تُحتمل ، تنزع إلى الاتحاد مع العمال في كفاحهم من أجل خبزهم اليومي ؛ وضد النير الامبريالي، إن كل الأقطار العربية التي تقاسمها جقال الرأسمال الانكليز والفرنسيون والطليان والاسبان ، تتوحّد في الكفاح

من أجل الوحدة القومية والاستقلال القومي . وفي ظل هذه الشروط ، إن كفاح الجماهير العربية المتعاظم ضد الامبريالية هو ، مع الكفاح الثوري في الصين والهند والهند الصينية الخ ، في أميركا اللاتينية وأفريقيا السوداء ، أهم لحظةٍ في أزمـــة النظام الاستعماري الامبريالي بأسره .

في سوريا وفلسطين ومصر ، حيث تبلورت حركة الطبقة العاملة ، في كثير أو قليل ، وحيث انتظمت أحزاب شيوعية ، وحيث بلغت حركة الفلاحين درجة ملحوظة من النضج ، وحيث لا يمكن أن نتصور نمواً لاحقاً للكفاح المناهض للامبريالية بدون كفاح دائب متلاحم ضد الاصلاحية القومية ـ في هذه البلدان ، إن واجب الأحزاب الشيوعية الملحّ والمباشر هو ثورة فلاحية زراعية وتنظيم عملها بما يتفق مع أهداف مناهَضة الامبريالية ومناهضة الاقطاعية . فالاطاحة بالنير الأمبريالي ، ومصادرة كل الامتيازات والمشاريع والمنشآت والمزارع وسائر الممتلكات العائدة للامبرياليين ، والاستقلال السياسي القومي الكامل (يضاف إليها إلقاء الملـَكية في مصر وإحياء الوحدة السياسية في سوريا) ، ومصادرة أراضي جميع الملاكـــين الاقطاعيين والغاصبين المستعمرين الذين يعيشون على دخل لا

يستحقّـونه ، ويوم العمل بثماني ساعات ، والضمان الاجتماعي للعمال على حساب الرأسماليين ، وحرية التنظيم للكادحين ، وحكومة عمال وفلاحين ، ونضال من أجل تحرير الشعوب العربية ووحدة هـــذه الشعوب الطوعية الحرة - تلك هي المطالب الرئيسيةالتي تحدد مضمون الثورة المناهضة للامبريالية والاقطاعية . إن التميّزَ عنْ والنضالَ ضدّ الاصلاحية القومية يجب أن يرتكزا على هذا الأساس . بين المطالب الجزئية التي يجب أن توضع في المقدمة ، تبرز المطالب الآتية : تخفيض يوم العمل إلى ثماني ساعات ، رفع الأجور ، التأمين على البطالة من حساب الرأسماليين ، حرية تنظيمات العمال والفلاحـــين ، إلغاء ديون الفلاحين الفقراء والمتوسطين للمرابين وملاكي الأرض والمصارف ، ايقاف الدفع على الأراضي المستأجرة ، جلاء قوات الامبرياليين كافة ، واستفتاء شعبي حر على مسألة تقرير المصير السياسي (في مصر ، على النظام الملـكي وعلى المعاهدة الانكليزية - المصرية ؛ في سوريا وفلسطين ، على انتداب عصبة الأمم) . في أقطار أكثر تخلـّفاً ، كالعراق وتونس وطرابلس ومراكش ، يجب على الجماعات الشيوعية القائمة هناك ان تسعى إلى تنظيم وتحقيق النهوض التلقائي

للحركة المعادية للامبريالية ، مع ربطها بالنضال ضد الأسياد الاقطاعيين الرجعيين والاصلاحيين القوميين ، وبنضال العمال والفلاحين من أجل حاجاتهم اليومية . في الجزائر ، التي هي مستعمرة فرنسية مستعبدة كلياً ، يجب أن يُركّز العمل على إنماء النضال من أجل تنظيم العمال العرب ضد معايير التجويع الاستعمارية في الأجور وشروط العمل العامة ، وعلى النضال ضد النهب الاستعماري للاراضي العربية . أمـــا الشعارات الموحّدة في الكفاح المعادي للامبريالية ، لكل الأقطار العربية ، فيجب أن تكون : ١) سقوط الامبريالية في الأراضي العربية ؛ ٢) الاستقلال التـام السياسي القومي للبلدان العربية ، وتقريرها الحر لمسألة نظامهـــا السياسي وحدودها ؛ ٣) اتحاد فيدرالي طوعي للشعوب العربية المتحررة ، في اطار اتحاد الشعوب العربية ، للعمال والفلاحين العرب ، على أساس وحدة الطبقة العاملة وشغيلة المدينة والفلاحين .

إن شعار اتحاد عمالي وفلاحي للشعوب العربية يمكن ويجب أن يُرفع ، لا بمعنى أن الطبقة العاملة تشترط لمشاركتها في كفاح التحرر القومي المنـاهض للامبريالية الانتصارَ الـكامل

للطبقة العاملة وجماهير الفلاحين الأساسية . بل يجب تأويله بمعنى أن البروليتاريا ، إذ هي تخوض كفاح التحرر الوطني في كل الظروف بأقصى ما يمكن من الحزم والانسجام ، فإنها في الوقت نفسه تشرح للجماهير أنه لن يكون هناك نصر دائم للاستقلال القومي والسياسي بدون ثورة زراعية فلاحية وبدون إقامة حكومة عمال وفلاحين ، على الأقل في أكثر البلدان العربية تقدماً (سوريا ، فلسطين ، مصر ، والجزائر) . فالأحزاب الشيوعية لن تتمكن من قيادة جماهير العمال ضد البرجوازية ، وجماهير الفلاحين ضد الغاصبين الامبرياليين وملاكي الأرض والمرابين ، ولن تتمكن من إحراز مساندة فقراء المدينة وجماهير البرجوازية الصغيرة ، ما لم تعمل في الوقت نفسه كقائدة ومنظمة للكفاح ضد الامبريالية ومن أجل التحرر القومي للبلدان العربية . إن سيادة الحزب على الطبقة العاملة لا يمكن أن تتحقق بدون نضال بروليتاري دائم من أجل استقلال وحرية الوطن العربي .

يجب على الشيوعيين أن يخوضوا الكفاح من أجل الاستقلال الوطني والوحدة القومية ، ليس في إطار الحدود السياسية الضيقة والمصطنعة التي أوجدتها الامبريالية ومصالح

الأسر المالكة في بعض الأقطـــار العربية وحسب ، بل على نطاق عربي عام شامل ، من أجل التوحيد القومي لكـــل الشرق . إن الحركة الثورية المعادية للامبريالية ، بتخطّيها الحدود المصطنعة ، يجب أن تجد قوتها ، يجب أن تحقق مدى ثورياً خاصاً ، يجب أن تصبح مركزاً ومحوراً لأوسع الجماهير. هذا سيسهّل أيضاً الكفاح ضد نفوذ رجال الدين الرجعيين . ولا يجوز أن نسمح بحالة تقوم فيها انتفاضة معزولة لحركة ثورية معادية للامبريالية ، في مصر ، أو فلسطين ، أو أي بلد عربي آخر ، دون دعم البلدان العربية الأخرى . فالأحزاب الشيوعية مدعوة للعمل كمنظّمة في النضال من أجل التحرر القومي ومن أجل الثورة المناهضة للامبريالية على نطاق عربي عام شامل .

إن العلاقات مع البرجوازية الصغيرة ومع الجماعات القومية الثورية التي تخوض، رغم تردد كبير ، كفاحاً ضد الامبريالية، يجب أن تتبع القاعدة الآتية : السير على حدة ، والضرب معاً . والاتفاقات الوقتية والظرفية معهم بقصد عمل نضالي ، أمر مسموح به ، شريطة إخضاعِ تذبذبهم وعدم انسجامهم للنقد، وبالتالي حمايةِ الاستقلال الايديولوجي والتنظيمي الكامل

للحركة الشيوعية . ويجب على الأحزاب الشيوعية أن تسعى لكي تجذب إلى صف النضال ضد الامبريالية ، لا العمال والفلاحين وحسب ، بل أيضاً المراتب الواسعة للبرجوازية — الصغيرة في المدن . وبالإضافة إلى القيام بعملية جرد تشمل كل شروط النضال النوعية ، يجب على الأحزاب الشيوعية أن تضع في ذهنها واقعَ أنَّ تفاقم التناقضات بين الامبرياليين الذي يقود حتماً إلى حرب عالمية ، يخلق تربة صالحة جداً لنهوض جديد للحركة القومية العربية والثورية . إن الموقع الستراتيجي للبلاد العربية وجهود الامبرياليين ليجعلوا من الشعوب العربية طعامَ مدافع لمجزرة عالمية جديدة وللتدخل ضد الاتحاد السوفياتي ، كل ذلك يعطي معنى خاصاً لكفاح الجماهير العربية ضد الامبريالية .

٦ . إن رفع شعار التحرر القومي لكل الشعوب العربية رفعاً قوياً وحازماً ، ضروري بصورة خاصة ، لأن مسائل كفاح الجماهير العربية للتحرر من نير الامبريالية ، الانكليزية والفرنسية ، ومن نير الامبريالية العالمية بشكل عام ، لم تحتل بعد موقعها الصحيح في عمل الأحزاب الشيوعية في سوريا

وفلسطين ومصر ، وذلك رغم القرارات الواضحة تماماً والحازمة تماماً التي صدرت عن الأممية الشيوعية . بل ان بعض الجماعات الشيوعية والشيوعيين الأفراد ، في العراق والجزائر وتونس يعيرون انتباهاً أقل من ذلك لهذه المسألة ذات الأهمية الأولى . فالانتهازية ، وبصورة خاصة الانتهازية اليمينية التي تستسلم أمام الدول الكبرى والبرجوازية الوطنية في المسألة القومية ، هي من أعظم العقبات في طريق تقدم الحركة الشيوعية في البلاد العربية. في فلسطين ، عرف الحزب الشيوعي أكبر أزماته إبان الانتفاضة العربية لعام ١٩٢٩ ، حين وجد الحزب نفسه معزولاً عن الجماهير العربية ، نتيجة انحراف صهيوني أعاق تعريب الحزب . وقد احتاج العمل لتأمين المقدمات الضرورية لبَلْشفة الحزب إلى عام ونصف العام ، ولم يتحقق ذلك بدون مواجهة مساع انتهازية تحت شعارات مناوئة للبولشفية غرضها تجميد تعريب الحزب . في مصر ، وجد الحزب نفسه معزولاً عزلة تامة عن الجماهير ، في الوقت الذي كانت فيه انتفاضة حركة الجماهير العفوية القوية في ذروتها . لم يقتصر الأمر على أنه عجز عن فضح مسلك الوفد الخائن المضاد للثورة وعن إنشاء وزن ثوري مقابل له ، بل

أكثر من ذلك ، فقد سمح بأفظع الأخطاء المناهضة للبولشفية في مسألة النضال الذي لا مصالحة فيه ضد الامبريالية ووكيلتها الملكية الرجعية ، وذلك بانفصاله وانسحابه من حركة الجماهير المناهضة للامبريالية . وفي سوريا ، وقفت العناصر الانتهازية اليمينية بصراحة ضد أي بيان يوجّهه الحزب الشيوعي لجماهير العمال والفلاحين ، أي ضد وجوده بالذات ، وضد كون الحزب الشيوعي شرع يكافح الامبريالية الفرنسية تحت رايته الخاصة . في تونس والجزائر ، تنمو المنظمات الشيوعية نمواً ضعيفاً ، نظراً لأن الشيوعيين لم يستطيعوا أن يقدموا للجماهير مسألة النضال ضد الامبريالية الفرنسية . فبدون القضاء على الانتهازية ، وخصوصاً الانتهازية اليمينية ، في المسألة القومية العربية ، لا تستطيع الأحزاب الشيوعية أن تنمو في البلاد العربية .

إذا تركنا القرارات المتصلة بمهمات الشيوعيين في أي بلد عربي محدد ، فإن الخطوات التالية ضرورية لتعزيز نشاط الشيوعيين في كل البلاد العربية :

١) تطوير حملة جماهيرية واسعة فيما يتعلق بأهداف

ومهمات حركة التحرر القومي العربية المناهضة للامبريالية ، مع ربطها بالمهمات النظامية لحركة العمال والفلاحين في البلدان المناسبة .

لدى خوض الكفاح لأجل الاطاحة بالنير الأمبريالي في كل قطر منفرد ، من الضروري ربط هذا الشعار مع الكفاح لأجل تقرير حر للجماهير الشعبية العربية في مسألة تقرير المصير القومي ، وبالنسبة للشيوعيين القيام بالدعاية للوحدة القومية في شكل اتحاد عربي شامل ، عمالي وفلاحي .

٢) لهذا الغرض ، من الضروري تنظيم اجتماعات كبيرة وصغيرة ، وحيث يمكن ، تنظيم المظاهرات ، وإصدار بيانات خاصة ، وتنظيم لجان مناهضة للامبريالية لتحمل المبادرة في النضال ، يُختار أعضاؤها من ممثلي عمال المعامل والمصانع ، ومن السكان الكادحين في القرى والمدن .

٣) إنشاء صحيفة عامة ، تشمل الآن ، الاحزاب الشيوعية في مصر وسوريا وفلسطين ، وشيوعيي العراق . وإقامة اتصال أكثر نظامية ودواماً لتبادل الخبرات وتنسيق العمل ، في المراحل الاولى ، بين الأحزاب الشيوعية في مصر

وسوريا وفلسطين وشيوعيي العراق ، وفي المستقبل ، من الضروري تأمين تعاون ومشاركة شيوعيي طرابلس وتونس ومراكش والجزائر . وبعد اتخاذ تدابير خاصة لتنظيم وتوحيد الشيوعيين في الجزائر وتونس ومراكش ، سيكون السير القادم فصل التنظيم الشيوعي في كل هذه البلدان عن الحزب الشيوعي الفرنسي وتحويله إلى وحدة مستقلة .

نشر باليابانية

في صحيفة « الماركسية »

طوكيو ، آذار ١٩٢٨

الوثيقة الثانية

برنامج عمل الحزب الشيوعي المصري

١ . الظلم القومي ، استعباد الكادحين ، والأزمة الاقتصادية :

نير مزدوج : الامبريالية والملكية . أحوال العمال . أحوال الفلاحين. الأزمة الاقتصادية وعواقبها. مخرج الأزمة كما يريده الامبرياليون والملك. الأحزاب في مصر. خيانة حزب الوفد وعمله على سحق الحركة الشعبية. المخرج الوحيد: النضال الثوري تحت قيادة البروليتاريا وحزبها الشيوعي.

٢ . النضال من أجل مخرج ثوري للأزمة :

ضرورة القطيعة مع الوفد . مؤهلات الطبقة العاملة لقيادة الجماهير . أهداف الثورة المعادية للامبريالية والاقطاعية . الصراع العالمي بين النظامين الامبريالي والاشتراكي . تخاذل الحزب الشيوعي المصري وانفصاله عن نضال الجماهير وأسباب هذه الحالة . الحاجة إلى حزب شيوعي مصري حقيقي . المطالب الأساسية للثورة .

٣. مطالبنا الجزئية ومهمات النضال والتنظيم في المستقبل العاجل :

(آ) سياسة الحكومة وحزب الوفد إزاء العمال والحركة العمالية. ضرورة استقلال الطبقة العاملة ونقاباتها . شعارات العمل في صفوف العمال .

(ب) شعارات العمل بين الفلاحين .

(جـ) المخرج الثوري من الأزمة : النضال الجماهيري . وجوب العمل في صفوف القوات المسلّحة . شعارات النضال الآنية .

ملاحظة : هذه الصفحة أضيفت من قبل المعرّب .

برنامج عمل الحزب الشيوعي المصري

١ . الظلم القومي ، استعباد الكادحين ، والازمة الاقتصادية

مصرُ اليوم مستعمرةٌ للامبريالية الانكليزية ، وإن كانت الامبريالية تخفي سيطرتها وراء ستار بالٍ وملكية رجعية . إن ملَكية فؤاد التي تساندها عصابة بروقراطية وبوليسية ويدعمها كبار ملاكي الأرض والرأسمال الكومبرادوري ، تساعد الامبريالية الانكليزية على خنق ونهب البلاد ، بمعونة هذه الملكية ، تقنّع الامبريالية الانكليزية أظافرها. إن قبضة الانكليز مسلطة على رأس الشعب المصري. فالغاصبون الانكليز يملكون قناة السويس . وفي أيديهم كل مفاتيح ثروة البلاد . وقد نسجوا حول عنق مصر شبكة ثقيلة من الديون. واستولوا على السودان . وهم يمتلكون المصارف . وقد حولوا مصر إلى

مزرعة لزراعة القطن بواسطة عمل العبيد . والصناعة المصرية لا تتطور إلا على نطاق **ضيق** وبصورة **بطيئة وضعيفة** . أما قوام جماهير السكان فهو مَرْبوط بالأرض وبإنتـــاج القطن ، الذي لا يصنّع في مصر ، بل يذهب إلى معـــامل انكلترة ليعود منها في شكل أنسجة غـــالية الثمن . وليس الخدّام والأعوان المصريون للامبريالية الأجنبية سوى أحجار شطرنج مزرية . فالأسياد الانكليز يصدرون الأوامر الصريحة إلى فؤاد ورجاله . وهم يستأجرون ويسرحون الوزراء ويسيّرون جهاز الدولة بأسره . إن الشعب المصري يحمل على كاهله **نـــيراً مزدوجاً – نير الامبريالية الانكليزية وملكية تعسفية تتألف من الخدم واللصوص .**

وأسوأ من أية حالة حالةُ جمهور العمال والفلاحين وفقراء المدن . إن هذا النظام القائم على العـــار القومي والظلم ، والعبودية والفقر ، يرتكز على استغلال واضطهاد الكادحين بصورة غير انسانية . فالعامل المصري يعمل ١١ ، ١٢ ، بل و ١٤ ساعة في اليوم . وعلى هذا العمل المضني يتقاضى من ٥ إلى ٦ قروش. ويعمل النساء والأطفال في شروط أشد سوءاً. وليس من حدود لسلطة ربّ العمل المطلقة . وفوق العامل

يقف دائماً ناظر يحمل سوطاً ، ينحر العامل كما لو كان عبداً . و « المقاولون » مكلفون عن استئجار العمال وهم يسرقونهم . إن هؤلاء الجزارين – « رؤساء الفرق » – يضربون ويعذبون العمال ، ويحرمونهم من أجورهم ، ويمسكون برقابهم إلى درجة مضحكة . وهم يبقون بدون عقاب يطال جرائمهم الوحشية ، بما في ذلك ضرب النساء . والغرامات المالية تسلخ العمال في كل خطوة . وهم يعملون في أسوأ ظروف حسية ، وبعد سنين قليلة يصاب العامل بالعجز . ومخازن المعمل تسرق العمال . ويعيش خمسة عشرة إلى عشرين شخصاً في خيمة واحدة . وحيث يتقاضى العربي قروشاً ، يتقاضى العـــامل الأوروبي خمسة أضعاف. وكل القوانين موجهة ضد العمال: فـ«التحريض» ضد استبداد فؤاد وفاتنيه الانكليز عقوبتـــه السجن خمس سنوات ، وتنظيم إضراب عقوبته سنتان ، والاشتراك في إضراب عقوبته سنة أو ستة أشهر . ولا توجد قوانين تؤمن على المرض أو العجز أو البطالة ، وتحمي العمـــل . وفي كل مكان يطارد جواسيسُ الشرطة العمال الواعين . أما تنظيمات العمال المستقلة عن الشرطة والرأسماليين فتلاقي اضطهاداً لا رحمة فيه .

إن حالة جماهير الفلاحين لا تقل سوءاً عن ذلك . فالفلاح يعمل من الفجر حتى الغسق ، ولكنه مضطرٌ لأن يدفع حتى آخر قرش تسديداً لأجر الأرض والضرائب . وهو ينتج القطن ، ولكن أسعار القطن يفرضها أسياد مصر الأجانب والسوق العالمية . إنه حافي القدمين ، فقير ، وجائع . وحتى « أعلى » الأسعار لا تفيده ، بـــل هي تزيد ثروة وقوة المستثمرين ومصاصي الدماء ، ملاكي الأرض والمرابين ، المضاربين والوسطاء ، لصوص البروقراطية والشرطة . إن القطن ، الذي ينتجه عمل الفلاحين الفقراء ، يشكل أكثر من أربعة أخماس صادرات مصر . ولكن **أكثر من نصف الارض المزروعة** يملكها ملاكو الأرض ، وأكثر من سبعة أعشار الفلاحين لا يملكون سوى **عشر** مجموع الأرض . والافلاس يدفع الفلاحين الكادحين إلى أوخم التصرفات ، حيث يتركون الأرض ويعيشون حياة التشرد . ولكنهم لا يجدون في المدينة عملاً أو خبزاً ، ذلك لأن صفاً طويلاً من الناس الباحثين عن عمل يقف دائماً أمام المعامل والمخازن . والذين لا يحوزون ما يحدد هوياتهم يُنقلون من المدن ويعادون الى العبودية ، إلى مستغلّيهم السابقين . والفلاح يحكمه ملاك الأرض . وفي نظر

الفلاح ، إن أي شرطي أو أي بروقراطي كلـّي القدرة . ويسيّره العمدة ، الذي هو إداريٌ ومُرابٍ في آن واحد ، كما يسيّر الراعي القطيع . والعمدة يتصرف باحتياطي الحبوب والأسمدة والقروض . وهو طيب مع الفلاح الغني ، القريب منه ، ولكنه لا يبدي أي شفقة ازاء الفلاح الكادح ، الفقير والمتوسط . وبينما جماهير الفلاحين ، الذين ينحدرون أكثر فأكثر في العبودية للمرابي وملاك الأرض،يكافحون ويتضورون جوعاً على قِطع هزيلة من الأرض ، فإن ثروة الأرض العظمى وكل مشاريع الري الكبرى هي في أيدي الغاصبين الامبرياليين. ليس في مصر عدالة أو حرية قومية ؛ فالشعب المصري خاضع للامبريالية الأجنبية ومدّاحيها . وأسوأ حالة هي حالة العامل الفقير ، الذي ليس له ساعات عمل محدودة ، ولا عُطل ، ويعيش في ما يشبه الجوع ولا يستطيع أن يرفع صوت احتجاج .

إن **أزمة اقتصادية شديدة** تصرخ بقوة في السنوات الثلاث الفائتة . عشرات الألوف من المتعطلين محرومون من الخبز والعمل . وكل عامل في سكة الحديد أو المرفأ أو المعمل أو المزرعة مهددٌ يومياً أن يُلقَى بـه في الشارع . البطالة

الشديدة قائمة في كل مكان ، وجماهير العاطلين عن العمل لا يمكن أن يتغذوا بالوجبات المزرية التي تقدم لهم في ما يسمى «المطاعم الخيرية» التي أقيمت في القاهرة والاسكندرية، بغرض التمويه . وتؤخذ من الفلاحين آخر قطعات هزيلة من الأرض ، وكل ما عليها بما في ذلك آخر قميص . ويستفيد الرأسماليون وملاكو الأرض والغاصبون ولصوص الشرطة والبروقراطية والامبرياليون ، من الأزمة ليزيدوا سرقتهم ويشددوا قبضتهم على عنق العمال والفلاحين وفقراء المدن . وهم يحاولون أن ينقلوا كل أعباء الأزمة إلى كاهل الشغيلة . ويباع القطن بأي سعر تقريباً ، وحبل الموت والضرائب تشتد حول عنق الفلاح . لقد خفض فؤاد ، موقتاً ، إيجار الأرض بمعدّل الثلث ، ولكن أسعار القطن انخفضت إلى أقل من النصف . في كل مكان ، يُباع ملْك الفلاح بالمزاد ، وقُرى بكاملها أصبحت مهجورة . وفي المدن ، جماهيرُ جديدة من اللاجئين تمارس التسوّل . في الريف والمدن ، لا عمل ولا خبز . وبالنسبة للشغيلة الفقراء ، لا عدالة ولا قانون . فالمحاكم تعمل لمصلحة الملاكين والمرابين ، على اقتطاع رسوم تذهب جزيةً للامبرياليين ، وتُنفق على تمويل عصابات

الشرطة والبروقراطية ، وتأمين المناصب والفوائد للملتزمين وكبار الملاكين والمرابين . والامبرياليون الانكليز يُعَرّون مصر من الذهب بواسطة التعويضات ، طالبين تسديد الديون بالذهب ، في حين أن قيمة الجنيه المصري قد انخفض بنسبة الثلث . وينمو عبء الرسوم والافلاس .

إن مستعبدي مصر ، الامبريالية الانكليزية واجراءها ، ملكية فؤاد البوليسية البروقراطية ، وكبار ملاكي الأرض ورجال الأعمال ، الذين يزيدون ثرواتهم بالاتفاق مع الرأسمال الأجنبي ، يجهدون ليخلّصوا أنفسهم من الأزمة على حساب إفلاس واستعباد جديدين لا مثيل لهما لشغيلة مصر . فهم يحاولون تخفيض سعر القطن المصري تخفيضاً أكبر ، بحيث يستطيع رجال الصناعة القطنية الانكليز ورجال المصارف وشركات التخزين وأصحاب مشاريع الري ، أن يجنوا أرباحاً أكبر . وهكذا سيكون على الفلاح أن يستمر في دفع جزية باهظة لملاك الأرض والمرابي والغاصبين الأجانب وعصابة الحكومة . بل أن يدفع لهم أكثر من ذي قبل . وهكذا سيكون على الفلاح وعائلته أن يجوعوا أكثر وان يشقوا أكثر لصالح الطفيليين والغاصبين . ذلك هو هدفهم !

إنهم يحاولون أن يقيموا ظروفاً ، كما في الماضي ، يكون فيها سوط « رئيس الفرقة » مسلطاً فوق رؤوس عمال محالج القطن ومعامل التبغ والسمنت . يحاولون أن يقيموا شروطاً يكافأ فيها عمل العمال بأجور أقل . ويريدون أن يجعلوا من فقدان الحقوق القومية والسياسية للشعب المصري مهزلةً أكبر . فمصر تحت قدمهم وستُستخدم أكثر وأكثر كمعمل لتهيئة مجزرة امبريالية جديدة ، ولإعدامات جديدة ينزلها الامبرياليون بالشعوب المستعبدة (وأولها الشعوب العربية) ، **ولهجوم جديد على الاتحاد السوفياتي** — بلد الحرية القومية الكاملة والاشتراكية الظافرة . ومرة ثانية سيسوقون كتائب العمال والفلاحين بالقوة؛ ومرة ثانية سيصادرون المواشي والخبز من الفلاحين ؛ ومرة ثانية سيجبون «التبرعات» بالقوة للصليب الأحمر الانكليزي . وسيطير الطيارون الانكليز من مصر إلى حـــدود وطن جميـــع الكادحين والشعوب المستعبدة ، إلى الاتحاد السوفياتي ، ليزرعوا فيه الموت والدمار .

هذا هو مخرج الأزمة الذي يتوق اليه الامبرياليون. إن رجال الحاشية ، الملتفين حول فؤاد وصدقي باشا ، يحاولون أن يحققوا الهدف نفسه . فحزب الاتحاد ، حزب أُجراء البلاط

والبروقراطية العليا وكبار الأشراف الاقطاعيين ، وحزب الشعب ، حزب الكومبرادور أصحاب الملايين ومصدري القطن ، وحزب الدستور ، حزب برجوازية الأعمال والربا ومضاربي البورصة- كلها أحزاب تخفي وراء أسمائها ووعودها خنوعَها العبودي للامبريالية الانكليزية وللرجعية الأكثر سواداً .

أما الوفد فهو حزب الاصلاحية القومية ، البرجوازية ، والمالكة للأرض ، المضادة ـ للثورة . وهو يجمع الرأسماليين الأغنياء ، والمحامين ، والمضاربين، وملاكي الأرض الليبراليين، الذين يريدون ، نتيجة خوفهم من الثورة الشعبية ، قيام صفقة مع مستعبدي مصر ، لقاء أجور صغيرة يتقاضونها على ذلك . هذا هو الحزب الذي يخدع السكان كافة ، حزب الخيانة الوطنية . إنه يساوم على فوائد صغيرة ثانوية ينالها من الامبرياليين وعصابة فؤاد ، بقصد تعزيز وضع الرأسماليين وملاكي الأرض على حساب العمال والفلاحين. وهو يتبارز مع معسكر فؤاد وصدقي باشا ، ويستغل فعلاً حركة التحرر الوطني لجماهير الشعب من أجل تفكيك النضال الثوري والمساومة على تنازلات لصالح البرجوازية وملاكي الأرض .

إن حزب الوفد لا يكتفي بمعارضة أي نضال حقيقي من أجل استقلال مصر ، والاطاحة بالنظام الملكي ، ومصادرة أملاك كبار الملاكين، وتحقيق يوم العمل بثماني ساعات ، بل هو **يجهد لاحراز زعامة حركة الجماهير** ، بقصد إضعاف هذه الحركة وسحقها وخيانتها وبيعها . إن كل تاريخ الوفد منذ سنة ١٩١٩ هو تاريخ كفاحه ضد العمال والفلاحين والكادحين الثوريين عموماً . فحين كان الوفد في السلطة ، حُطِّمت كل منظمات العمال الواعين المستقلة وكل المنظمات الثورية . وعقد الوفد صفقة مع الامبريالية الانكليزيه ، وباعها حرية واستقلال مصر ، غير أن هذا الاتفاق لم يوقَّع بسبب خلاف شكلي على قضية السودان . وقد كان الوفد مستعداً لعقد أي صفقة مع الامبريالية ، شريطة أن تحمل شكلاً دستورياً . ذلك حزب معادٍ للشعب ومعه بوليس مضاد للثورة ، حزب أعلن بلسان النحاس باشا استعداده لمحاربة الاتحاد السوفياتي لصالح الامبرياليه الانكليزية . إن عبارات الوفد الزائفة قد ساعدت الامبريالية والملكية على خنق وسحق الحركة الشعبية . ولسنوات عديدة ، زعم الوفد انه يعمل لاستقلال مصر ، محاولاً أن يخدع الجماهير بالوعود. وحين استخدمت الامبريالية

الانكليزية ملكية فؤاد واجهةً لها ، بدأ الوفد يصرخ انـه يناضل من أجل « الحرية الدستورية » . ولم يجرؤ على دعوة الجماهير ، حتى في النضال لقلب الملكية البالية . والآن ، يزعم الوفد مرةً أُخرى أنه يعارض الامبريالية الانكليزية . **بالحقيقة ، انه يبحث مع الامبرياليين واجرائهم في مصر ،** عن مخرج للازمة باتجاه مزيد من الخضوع والعبودية لجماهير الشعب . ومن أجـــل **تمويه** ذلك ، فهو ينشر عبارات « المعارضة » .

أما الحزب الوطني ، الذي عبر في ١٩١٩ عن عدم رضى جماهير البرجوازية الصغيرة ، ثم انجرف إلى تأييد عصابة فؤاد ، فقد فقدَ نفوذه السابق .

إن الجماهير الكادحة في مصر، التي تقودها الطبقة العاملة، يجب أن تسأل نفسها ، الآن أكثر من أي وقت مضى ، لماذا لم تحقق النجاحَ المنشود تلك الضحـايا التي لا عدّ لهـا ، التي سقطت في النضال لأجل تحرر مصر من العبودية الامبريالية ومن طغمة ملاكي الأرض والمرابين، في النضال لأجل التحسين الجوهري لأحوال جماهير العمال والفلاحين ؟ ثمة جواب واحد

صحيح . إن جماهير العمال والفلاحين وشغيلة المدن قد خاضوا النضال بإخلاص وتفانٍ ، ولكنهم كانوا تحت قيادة قوى مضادة – للثورة ، أجنبية ، خائنة ، حوّلت ضرباتهم في كل مناسبة بعيداً عن الامبريالية ، ووضعتهم في كل مناسبة تحت ضربات أعدائهم .

إن المخرج الثوري الوحيد من الحالة الحاضرة الحرجة الذي يمكن أن يجده العمال هو النضال الثوري ضد الامبريالية ، ضد الملكية الرجعية ، ضد ملاكي الأرض والمرابين ، ضد البرجوازية المضادة – للثورة الاصلاحية – القومية . إنهم سيجدون مخرجهم الثوري في اندماج ووحدة جميع الكادحين **تحت قيادة البروليتاريا الثورية، تحت قيادة الحزب الشيوعي المصري .**

٢ . النضال من أجل مخرج ثوري للأزمة .

إن مصالح البرجوازية الإصلاحية القومية هي بالطبع في اختلاف مع مصالح الامبريالية الانكليزية، بقدر ما تتصادمان في اقتسام الغنيمة التي تُقتطع من غالبية السكان الكادحة . إلا أن البرجوازية الإصلاحية القومية ، بقيادة الوفد ، تدعم كلياً الامبريالية في نضالها ضد الحركة الثورية للطبقة العاملة والفلاحين وشغيلة المدن . فالوفد يخاف من الانتصار الثوري للعمال والفلاحين ، وهو يسعى بكل وسائله وطاقاته ، لمنعه . وهو يرى في هذا النصر الخطر الأكبر ، بقدر ما يعني هذا النصر قلبَ النير الامبريالي ومصادرةَ كل أراضي الامبرياليين والعرش وملاكي الأرض والاوقاف ، لصالح هؤلاء الفلاحين والأيدي العاملة التي تفلح وتزرع هذه الأراضي ، وتحقيقَ يوم العمل بثماني ساعات ، وتحسناً مرموقاً في الأحوال المعاشية لجميع الكادحين . فبذلك تزول الأرباح الطائلة المتأتية من المضاربة على القطن والعائدة للشركات الكبرى ؛ وتزول سلطة ملاك الأرض ، وتُنسف سلطة المرابين ، وتتفكك سلطة العمدة التي تعتمد عليها لا عصابةُ فؤاد وحسب بل كذلك حزبُ الوفد . إن الرأسماليين المصريين وملاكي

الأرض « الليبراليين » يريدون لمصر ذلك النوع من « الحرية » الذي لن يأتي بأية حرية للعامل أو الفلاح . يريدون لمصر ذلك النـــوع من « الاستقلال » الذي يمكّنهم من أن يلعبوا دور جهاز لتخفيف الصدام وكذلك دور وسطاء وأجراء بـــين الامبرياليين وبين الجماهير المضطهَدة والمستثمَرة .

لا يمكن أن يكون هناك نضال ثوري ناجح ومنتصر بدون قطيعة كاملة ولا رجوع عنها مع الوفد ، بدون نضال حاد لا رحمة فيه ضد الوفد . بين معسكر الوفد ومعسكر الثورة المعادية للامبريالية والزراعية الفلاحية ، تقوم هوةٌ سحيقة لا يمكن تخطّيها . من أجل قلب النير الامبريالي ، ينبغي حطمُ نفوذِ الوفد بين الجماهير ، نفوذِه بين العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة . بين معسكر الوفد ومعسكر الامبريالية وأجرائها الملكيين ، رابطةٌ قوية ، يسندها تزاحُمها في نيل رضى الامبرياليين الانكليز .

إن **الطبقة العاملة** هي أكثر طبقات الشعب المصري تقدمية وثورية . ويوحدها العمل في المشاريـع الرأسمالية الكبرى ، ويصبح أفرادها ثوريين واعين طبقياً نظراً لأن

نضال الطبقات يثقفهم ويعلمهم أن يعارضوا العبودية المأجورة والرأسمال . وهذا النضال يضعها في طليعة النضال ضد المستعبدين الأجانب وضد طغمة ملاكي الأرض والمرابين . فوق رأسها يُقرقع سوط ناظري وشرطة أسيادها ، وهي محرومة من أبسط الحقوق الانسانية والمدنية ، نظراً لأن البلاد بأسرها تعيش في عبودية المستعمرة ، ولأن أخاها الفلاح لا يعرف سوى مصير العمل الاجباري لصالح ملاك الأرض . وليست الطبقة العاملة مقسَّمة أو مبعثرة كجماهير الفلاحين . وهي وحدها قادرة أن تقود غالبية الكادحين المصريين على الطريق المستقل ، طريق النضال الثوري تحت قيادة حزبها الشيوعي الذي صهرها ووحدها تحت راية الثورة . وهي وحدها تستطيع أن تفضح كلياً سياسةَ الرأسماليين المضادةَ للثورة والمخادعة ، هؤلاء الرأسماليين الذين يستثمرونها وفي الوقت نفسه يسمون أنفسهم ، تحت عنوان حزب الوفد ، « أصدقاء حرية الشعب » . فالطبقة العاملة هي ، في العالم أجمع ، الطبقة التي تقود الكادحين ليس فقط نحو التحرر من سلطة الامبريالية والملكية وملاكي الأرض ، بل أيضاً نحو إلغاء استثمار الانسان للانسان إلغاءاً تاماً . وقد أنشأت الطبقة

العاملة أولَ دولة اشتراكية في العـــالم ، اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية ، حيث تحقق كلياً وحتى آخر تفصيل صغير ، حقُّ جميع الشعوب في تقرير المصير القومي ، وحيث يعمل عشرات الملايين من العمال بعد أن طَردوا الرأسماليين وملاكي الأرض على بناء حياة جديدة ــ الاشتراكية .

لا يمكن تحقيق انتصار الثورة الشعبية بدون **تحالف دائم وأخوي بين الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين تحت قيادة البروليتاريا** . في الكفاح ضد الامبريالية وضد ملاكي الأرض والملَكية الرجعية ، وضد سياسة الوفد المضادة للثورة ، يملك العمال والفلاحون مصالح مشتركة .

إن الهدف المباشر والفوري للثورة المعادية للامبريالية والاقطاعية في مصر هو قلب النير الامبريالي والملكية الرجعية ، وإحراز الاستقلال الكامل لمصر ، **وثورة زراعيـــة ــ فلاحية** ، **ويوم** العمل بثماني ساعات ، وتحسين جذري لحالة العمال ، وإقامة الدكتاتورية الثورية والديمقراطية للطبقة العاملة والفلاحين في شكل حكومة سوفيات عمالية وفلاحية . إن هذا النصر الثوري سيساعد في النضــال المقبــل للجماهير

الكادحة تحت قيادة البروليتاريا من أجل دكتاتورية البروليتاريا والاشتراكية ، من أجل إلغـــاء الطبقات ، وتحقيق الملكية العامة التامة لكل وسائل الانتاج . في كل أرجاء المعمورة ، يقوم **نضال بين نظامين** – نظام الرأسمالية الداميـــة المهترئة المحتضرة ، ونظام الاشتراكية الذي يملك في الاتحاد السوفياتي قاعدة صلدة لا يمكن تحطيمها . إن الأزمة الاقتصادية العالمية الحاضرة قد ضربت بقوة خاصة البلاد التي تستعبدهـــا الامبريالية ، التي هي نتاج الأزمة الآخذة دوماً في الاستفحال والتفاقم ، التي تعانيها الرأسمالية العالمية التي لا يمكن أن توجد بدون الاستعباد الاستعماري لغالبية الانسانية . وضدّ هذا العالم من الاستغلال والاضطهاد والطفيلية والمضاربة والنهب الاستعماري ، قام عالم جديد ، الاتحاد السوفياتي ، الذي أُنجز في عام ١٩٣١ بناء أسس اقتصاد اشتراكي .

وتسعى الامبريالية لإنقاذ نفسها . بشنّ هجوم على الطبقة العاملة ، وإخضاع جديد للمستعمرات ، وإثارة حرب ضد الاتحاد السوفياتي . إن استيلاء الامبريالية اليابانية على منشوريا وهجوم الامبرياليين العام على الصين مفادهما محاولةٌ لتقاسم جديد واستعباد كامل للصين ، وإعداد لتدخل ضد الاتحـــاد

السوفياتي . غير أن عمال وفلاحي الصين ، بقيادة الحزب الشيوعي الصيني قد أنشأوا عدداً من المناطق السوفياتية وجيشهم الأحمر الخاص . وعلى غرارهم ، يستعد عمال الهند الصينية والهند للحرب الحاسمة مع الامبريالية .

إن العمال والفلاحين المصريين لا يريدون بعد الآن أن يجرجروا سلاسل العبودية وأن يعيشوا في حالة من الجوع . إن نضالهم من أجل حريتهم واستقلالهم ، من أجل الأرض للفلاحين ، ويوم عمل بثماني ساعات للعمال ، لا ينفصل بل يشكل جزءاً لا يتجزأ من النضال المشترك الذي يخوضه جميع الكادحين والمضطهَدين ضد الامبريالية ، وضد الاستعباد الجديد للشعوب المستعمَرة ، وضد خطر مجزرة عالمية جديدة ، وضد خطر تدخل جديد مناهض للاتحاد السوفياتي . إن العمال والفلاحين المصريين ، بكفاحهم في سبيل قضيتهم الحيوية ، إنما يكافحون في سبيل تحرير جميع الشعوب العربية من نير الامبريالية ، وفي سبيل تحالفهم النضالي مع هذه الشعوب .

إن النضال الظافر للطبقة العاملة المصرية مستحيل بدون

وحدة طليعتها في صفوف الحزب الشيوعي المصري . إن دعم كل الطبقة العاملة لحزبها الطبقي وحده كفيل بتأمين قيادة البروليتاريا المصرية لغالبية الكادحين . بسبب نقاط الضعف الموقتة في حركة العمال المصرية ، نجح المتسللون من رجال الشرطة والوصوليون الصغار في تخريب نشاط الحزب الشيوعي المصري ، وفصلوه عن العمال وعن نضال الجماهير الثوري . إن الشيوعيين الذين يقفون بعيداً عن العمال خوفاً من الاعتقال، ليسوا بشيوعيين ، بل هم جبناء بائسون وخونة ، يلقون العار على قضية العمال .

ولكن بالنسبة للعمال المصريين ، فإن قضيتهم ، قضية العمل ، عزيزة على قلوبهم ، قضية الأممية الشيوعية . إن عمال بورسعيد والسويس والقاهرة والاسكندرية ، وعمال بولاق الذين أقاموا المتاريس في سنة ١٩٣١ ، **وإن الالوف والالوف من البروليتاريين ، والعمال الزراعيين ، والفلاحين الفقراء الواعين طبقياً ، لا يمكن إلا أن ينجحوا في تنظيم حزبهم البروليتاري القوي المناضل** ، من أجل قيادة النضال في سبيل ثورة مناهضةٍ للامبريالية وزراعيةٍ – فلاحية ، من أجل نظام سوفيات العمال والفلاحين، الذي سينشىء المقدمات

اللازمة لتعزيز الثورة وللنضال اللاحق في سبيل دكتاتورية البروليتاريا والاشتراكية .

انهم بحاجة الى حزب شيوعي جماهيري مناضل . انهم بحاجة لبرنامج من أجل ثورة شعبية . إننا نناديهم كي يرفعوا راية حزبهم ، وكي يذهبوا بين **الجماهير** ، تحت قيادة طليعتهم الشيوعية المختارة من بين أخلص العناصر البروليتارية والفلاحية الفقيرة ، لتنظيم العمال والفلاحين من أجل هزم الامبرياليين وملاكي الأرض والمرابين الجشعين، والبرجوازية المضادة للثورة، في النضال من أجل مخرج ثوري للأزمة . فالحزب الشيوعي ضروري لتوحيد وتنظيم الجماهير الواسعة من العمال والفلاحين الكادحين في النضال في سبيل مصالحهم الحيوية ضد الامبريالية وملاكي الأرض والرأسماليين . وهو ضروري لتوحيد وتوجيه مجمل نضال الطبقة العاملة وحلفائها **الفلاحين الكادحين** ، نحو هدف ثوري واع . والحزب الشيوعي ضروري ، قبل كل شيء ، للعمال التقدّميين ، من أجل النضال بوعي وقيادة نضال أوسع الجماهير الكادحة . إن الحزب الشيوعي هو الحزب الوحيد الذي يناضل في سبيل مصالح الكادحين . وهم ، بدونه ، يُساقون ويسلّمون إلى أعدائهم ، الذين يخدعونهم

بالوعود والأكاذيب . إن الحزب الشيوعي المصري يجب أن يصبح جزءاً من الحزب البروليتاري العالمي ومن أكثر عناصر الفلاحين الكادحين تقدماً . ففي الدنيا بأسرها، يحدث الصدام بين عالمين ـ الاشتراكية التي تنتصر وتُحرر ، والرأسمالية التي تنحدر وتموت وتذبح. إن عمال المستعمرات وأشباه المستعمرات يستطيعون أن يقتلعوا السلاسل الصَدئة لعبودية الاستعمار وطغمة مـلاكي الأرض والمرابين ، فقط بتحـالف أخوي لا ينفصم مع بلد الاشتراكية المنتصرة ومع البروليتاريا العـالمية .

يجب على البروليتاريا المصرية والشغيلة والفلاحين المستثمَرين أن لا ينتظروا ويطلبوا صدقات من فوق . إن برنامجهم هو **برنامج ثورة** ، يتطلب روح التفاني والتضحيات ، غير أنـه يقود في الوقت نفسه الى الهـدف .

إن مطالبنا الثورية الأساسية هي :

١ . **إخراج الاستعماريين الانكليز ، وقواتهم البرية ، وأسطولهم ، وقوتهم الجوية من مصر والسودان .**

٢ . **الاستقلال السياسي والاقتصادي الكامل غير المقيد لمصر والسودان** . حرية تقرير المصير الوطني الكاملة للسودان.

النضال من أجل تحرير الشعوب العربية كافة من نير الامبريالية، ومن أجل اتحاد عربي شامل لشعوب حرة . إلغاء امتيازات الامبرياليين . الإطاحة بالنظام الملكي ، إلغاء البروقراطية العتيقة ، والعمدة والحكومات المحلية المستقلة المصطنعة ، والشرطة . اختيار القضاة من قبل الشعب. تسليح الكادحين للدفاع عن استقلالهم الوطني وعن حقوقهم العمالية . حرية الصحافة للعمال . فصل الدين عن الدولة ، وفصل القضاء عن الدين .

٣ . حكومة سوفيات عمال وفلاحين . نظام السوفيات.

٤ . مصادرة جميع الاراضي والحيوانات والادوات الزراعية العائدة للامبرياليين وملاكي الارض والمرابين والملك والبروقراطية العليا والوقف (بما فيه الوقف الاهلي) ، بدون تعويض، وتوزيعها بين العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء والمتوسطين الذين لا يستثمرون عمل الغير .

٥ . تأميم جميع مشاريع الري **والاوائل الثقيلة ذات العلاقة بها (المضخات ، الخ)** . الري المجاني لأراضي الفلاحين الفقراء .

٦ . مصادرة وتأميم جميع البنوك والمشاريع الصناعية العائدة للامبرياليين .

إلغاء ديون الدولة وكل الديون العائدة للامبرياليين .

٧ . إلغاء كل الديون الناتجة عن الربا ، إلغاء كل ديون الفلاحين، إلغاء كل الرسوم والضرائب المنتزعة من الكادحين، وإنشاء ضريبة تصاعدية على الاغنياء .

٨ . حرية تنظيم العمال والكادحين، حرية العمل لكل منظماتها.
يوم العمل بثماني ساعات . أجور متساوية للأعمال المتساوية لجميع العمال ، دون نظر إلى القومية أو الجنس . حدّ أدنى للأجور ، يوم عمل بأربع ساعات للعمال لليافعين بين الرابعة عشر والسادسة عشر ، وبست ساعات لليافعين بين السادسة عشر والثامنة عشر . تحريم عمل الأولاد وتحريم العمل الليلي للنساء واليافعين . تأمين اجتماعي على المرض والشيخوخة والبطالة وحوادث العمل . تحسين جذري للسكن . حماية العمال .

٩ . تعليم حر وعام للعمال والفلاحين .

١٠ . التحالف مع الاتحاد السوفياتي ، ومع البروليتاريا الثورية الاممية ، ومع الكادحين المناضلين في المستعمرات .

٣ . مطالبنا الجزئية ومهمات النضال والتنظيم في المستقبل المباشر .

(آ) الملكية البوليسية – البيروقراطية ، من جهة ، والوفد من جهة ثانية ، يستخدمان كل ما لديهما من قوة لمنع كل الجهود الرامية إلى دمج وتوحيد العمال (وإن كان كل منهما يعتمد وسائل مختلفة : فالملكية تعمل بوسائل القمع ، والوفد يعمل بالدرجة الأولى بطريق الخداع، الذي يرافقه عند وصول الوفد إلى الحكم ، قمع الجماهير المناضلة ، كما تبين في عام ١٩٢٤ والأعوام التالية) . ولهذا الغرض ، فإنهما يلجآن إلى شتى وسائـــل المناورة ، فهما يلبسان مثلاً قناع « حب العمال » الكاذب . والعمال المصريون محرومون من أبسط سلاح عندهم للدفاع عن مصالحهم اليومية الحيوية، في مضمار تحسين شروط العمل . إن نقابات العمال في معظم الحالات نقابات بالاسم فقط . فهي تحت إشراف جواسيس الشرطة والمقاولين والنظار وأرباب العمل ، أو « حماة » أثرياء من الوفد – محامـــين ورأسماليين ، يبنون مستقبلهم الشخصي على ظهر العمال .

النضال في سبيل **الاستقلال ونقابات واعيـــة طبقياً** ،

بروليتارية ، **مناضلة** ، هي واجبات ذات أهمية أولى أمام الطبقة العاملة . فاذا حرمت البروليتاريا المصرية من هـذا السلاح ، فانها لا تستطيع أن تناضل بنجاح في سبيل حاجاتها الأكثر حيوية ، ولا تستطيع أن تحقق اضرابات ناجحة ، ولا تستطيع أن تتحد وأن تناضل ضد البطالة . إن التحكيم الحكومي الإجباري يلغي الاضرابات. فالعصابة الحاكمة تلعب بالعمال ، إذ تلقي إليهم بهبات مزرية ، وتشتري من كان منهم للبيع . بل ان استئجار وتسريح العمال همـــا تحت إشراف « المقاولين » المتعطشين للدماء. لذا يجب على العمال أن ينتظموا من أجل النضال .

•

إن أول شعارات العمال هو : **نقابات واعية طبقياً مستقلة** (عن البوليس والوفد) . **حرية الاضرابات وتنظيمات العمال الواعية طبقياً** ، حرية توحيد ونضال **الفلاحين الكادحين** ، حرية الصحافة للعمال والفلاحين . يجب على العمال أن يرفعوا **مطالبهم الملحة المباشرة**، وان يوقتوها مع النضال ضد هجمات المستثمرين . إن أهم هذه المطالب هي كما يلي :

١) لا تخفيض للأجور أياً كان ، وبالعكس رفع الأجور.

أجور متساوية وشروط عمل متماثلة لعمال جميع القوميات .
حد أدنى مضمون مناسب لأجر العمال الأجانب .

٢) لا تسريح جماعي للعمال . تعويض قدره أجر ثلاثة شهور لأي شخص يسرح . القضاء على الوسطاء («المقاولين») في الاستخدام والتسريح . إن استئجار العمال يجب أن يتم عن طريق مكاتب استخدام تعمل تحت إشراف العمال أو تحت لجان عمالية منتخبة . إلغاء جميع الاتفاقات والصفقات التي تتم مع بعض الزمر والعصابات على ظهر العمال .

٣) مفاوضات جماعية مع نقابات العمال المنظمة والواعية طبقياً . تخفيض يوم العمل ، نضال من أجل يوم العمل بثماني ساعات . يوم راحة إجباري في الأسبوع . إصدار مرسوم خاص بتحريم عمل الأولاد فعلاً، ودفع أجور اليافعين بما يتفق مع حجم العمل . أجر متساو لعمل متساو . تحريم العمل الليلي للنساء واليافعين . عطلة للمرأة الحامل . تحريم عمل النساء في المشروعات المضرة بالصحة . يوم العمل بست ساعات لليافعين .

٤) مساعدة فورية للعاطلين عن العمل ، بواسطة اتاوات

تفرض على المصارف ، ومكاتب التجارة والكوميسيون والمتعهدين والبورصة ، وعلى أصحاب مشروعات الصناعة والنقل ، وعلى رجال البروقراطية العليا . تأمين على البطالة من حساب الدولة والمستخدمين .

٥) خبز للعاطلين عن العمل واللاجئين . التأمين للعاطلين عن العمل واللاجئين في شكل غذاء وسكن على حساب الدولة والمستخدمين وكبار رجال الأعمال . تحريم طرد اللاجئين الذين لا يحملون بطاقات هوية والذين تركوا قراهم .

٦) انهاء تحكيم الشرطة وتدخل الشرطة في الاضرابات.

٧) انتخاب حر من قبل عمال المعامل وإنشاء لجان المعامل والاعتراف بهم من قبل أرباب العمل . حرية الاضراب وحرية نشاط نقابات العمال الطبقية . تحسين سكن العمال .

٨) تأمين حراسة المعامل من قبل العمال في الاضرابات وحق العمال في الدفاع عن أنفسهم ضد العنف البوليسي .

٩) جبهة أممية من العمال العرب وعمال الأقليات القومية. يجب على العمال ، قبل كل شيء ، أن ينظموا أنفسهم في معاملهم بالذات ، بما يهيىء نضالهم من تحت . ولهذا الغرض، من الضروري ، بالدرجة الأولى ، توحيد أنشط العناصر

وبذلك إنشاء **هيئة نقابية** في المعمل . ومن الضروري بذل كل الجهود لتنظيم العاطلين عن العمل واللاجئين ، والسعي إلى إنشاء لجان العاطلين عن العمل واللاجئين من الفلاحين والعمال الزراعيين .

(ب) الشعارات الخاصة بنضال جماهير الفلاحين يجب أن تكون مطالب تتفق مع حاجاتهم الأكثر إلحاحاً :

١) الفلاحون لا يدفعون ضرائب أو رسوماً أو ديوناً .

٢) ولا يدفعون ريعاً في زمن الأزمة .

٣) لا تُصادر الأرض أو المحصول أو الماشية أو الأدوات الزراعية بسبب عدم دفع الضرائب أو الريع أو الديون . ولا يجوز إخراج فلاح واحد من الأرض التي يزرعها .

٤) يسقط جباة الضرائب والرسوم والمرابون !

٥) لا تسدد الديون للحكومة . توزيع هذه الأموال على الفلاحين الجياع والمفقَرين . مع توسيع فرض « المعونة » على الملاكين والمرابين والعمدة .

٦) إلغاء اتفاقات الطُعْم والعصابات المفروضة على الفلاحين العاملين في أراضي الملاكين (« العزب ») إلغاءً تاماً . النضال ضد إعادة الفلاحين الاجبارية إلى أراضي الملاكين التي تركوها .

٧) النضال من أجل نقل كل الوسائل والمرافق (الحبوب، الأسمدة ، الأموال) الموضوعة في أيدي العمدة ، إلى لجان الفلاحين الفقراء والمتوسطين . فرض إتاوة على شركات الري، والمصارف ، والمتعهدين ، والبروقراطيين ، لمساعدة الفلاحين الجياع .

٨) اتحادات مستقلة للعمال الزراعيين **وتنظيم لجان الفلاحين .**

٩) النضال ضد جرد وبيع ملك الفلاح وأرضه بالمزاد العلني .

١٠) حرية التنظيم للعمال الزراعيين والفلاحين الفقراء والمتوسطين . **حرية العمل لتوحيد وانتخاب هذه اللجان .**

١١) تنظيم وحدات العمال الزراعيين والفلاحين للدفاع

الذاتي ضد هجمات الامبرياليين والحكومة وملاكي الأرض والمرابين .

إن الفلاحين الكادحين والمستثمَرين يجدون صعوبة أكبر مما يجد العمال في تنظيم أنفسهم . غير أن مصيرهم بلغ من السوء درجة تفرض عليهم أن يجدوا مخرجاً . إن الفلاح العامل ، الذي ينظم اليوم لجنةً للنضال ضد المرابين ، سيكون له في الغد لجنةٌ للنضال ضد بيع أراضي الفلاحين بالمزاد الخ ، ويمكنه أن يكسب غالبية السكان في الريف إذا ما حمل هذه القضية بقوة وعزم . فالفلاحون يبحثون تلقائياً عن مخرج من البؤس والشقاء ، بمبادرتهم إلى انفجارات وأخذهم الأمور بين أيديهم . ومن الضروري مساعدتهم على تنظيم أنفسهم ، وعلى عمال المدينة والعمال الزراعيين أن يساعدوا هؤلاء الفلاحين ، بشلّهم نفوذَ ملاكي الأرض والمرابين والعمدة والكولاك ، وقيادتهم نضالَ الفلاحين الكادحين ، وسعيهم إلى توحيد الفلاحين الكادحين حول اللجان الفلاحية المنتخبة .

(ج) إن عمال مصر التقدميين ، الواعين طبقياً ، الذين يدعوهم الحزب الشيوعي للالتفاف حول رايته ، يجب عليهم

أن يساعدوا أيضاً فقراء المدن وصغـــار الكسبة على تنظيم صفوفهم والدفاع عن مصالحهم ضد المرابين والوسطاء والأسياد ومصاصي الدماء ، بفضل رسوم تفرض على المرابين والشركات الأجنبية الكبرى وعملائها .

على مجموع العمال تقع مهمة بيان المخرج الثوري من الأزمة لكل مصر المظلومـــة والمستغَلة . إن الطريق إلى الإطاحة الثورية بالامبريالية والنظام الملكي الرجعي ، الطريق إلى ثورة زراعية فلاحية، يمكن أن يتضح فقط بواسطة نضال جماهيري مكشوف ودائم على أساس المصالح الملحة للجماهير . فالأزمة الاقتصادية قد زعزعت أركان النظام الرجعي . إن كادحي المدن والأرياف ، وأفضل العنـــاصر الثورية من الطلاب ، يتعطشون للكفاح ، وكثيراً ما يضلون الطريق العريض ، طريق الكفاح الثوري الجماهيري ، ويتحولون عنه إلى طريق الأعمال الفردية والمنفصلة . ويجب على الشيوعيين وكل المكافحين الثوريين الواعين طبقياً أن يلتفتوا إلى العمل بين صفوف جيش الاحتلال وإلى القوات المسلحة التابعة لملكية فؤاد .

يجب على الطبقة العاملة ، بالتحـــالف مع الفلاحين الكادحين والمستثمرين ، أن تعمل كمحرّض ومنظّم لنضال

التحرر . عليها أن تقود الحركة المناهضة للامبريالية والملكية، رابطةً هذه الحركة مع نضال العمال والفلاحين . وشعاراتها واضحة ومفهومة :

١)جلاء القوات المسلحة الانكليزية من مصر والسودان! القضاء على أوامر الامبريالية الانكليزية وعنفها !

٢) إيقاف دفع كل ديون الدولة .

٣) لا ضرائب على الكادحين ، أياً كانت . فرض إتاوات كبيرة على الامبرياليين وأصحاب المصارف والمضاربين وملاكي الأرض ، لصالح العاطلين عن العمل والجائعين واللاجئين .

٤) لا تسديد لديون المرابين ، في المدينة والقرية ، ولا دفع لايجار الأرض ، في جميع الحالات ، أثناء فترة الأزمة .

٥) لا اقتطاع من الأجور ، بل بالعكس زيادتها ، إنهاء الدفع للبروقراطيين ورجال الشرطة الذين يتقاضون أكثر من ٢٠ جنيهاً ، التأمين على البطالة ، مساعدة العاطلين عن العمل من حساب الطفيليين الأجانب والمحليين .

٦) القضاء على ملكية فؤاد، وعلى الشرطة وجواسيس

الشرطة في النقابات والمعامل ! القضاء على سياسة الوفد المضادة للثورة !

٧) حرية نقابات العمال المستقلة الواعية طبقياً ، وحرية المنظمات الفلاحية والثورية . تنظيم دفاع العمال والفلاحين الذاتي . حرية الصحافة للكادحين .

٨) القضاء على التهيئة الاجرامية لمجزرة امبريالية جديدة وللحرب ضد الاتحاد السوفياتي ! دعم وطن الكادحين !

إن أمام البروليتاريا والفلاحين الكادحين في مصر طريق نضال شاقة . ولكنها الطريق الوحيدة التي تقود من العبودية إلى الحرية .

إن جبهة عمالية – فلاحية ثورية متحدة آخذة في التكوّن ؛ إنها تنمو وتتسع من تحت ، على أساس طرد المستثمِرين والمستعبِدين فوراً . ولقد أثبت النشاط الثوري للعمال المصريين في العامين المنصرمين إن الجماهير العمالية تملك في ذاتها احتياطياً جباراً من القوة الثورية . ويجب عليها أن تحوّل هذا الاحتياطي ، قبل كل شيء ، نحو تنظيم النضال من

أجل المطالب الحيوية ضد هجمات الامبرياليين والحكومة ورأس المال. إن نضالاً متحداً ومنظماً يخوضه العمال سيحرّك جماهير الفلاحين وسيساعد على ايجاد الانتقال الصحيح الماهر من النضال الاقتصادي والاضرابات الاقتصادية إلى المُظاهرات، والاضرابات السياسية ، وإلى أشكال نضالية أخرى .

إن المهمات التي تواجه الطبقة العاملة تتطلّب تعبئة كل قواها من أجل النضال لقيادة كل مصر الكادحة والمستثمَرة .

نشر باللغة العربية
في «إلى الأمام»
صحيفة الحزب الشيوعي في فلسطين،
عام ١٩٣١

نشر باللغة الروسية
في «ريفولوسيوني فوستوك»
(« الشرق الثوري »)
العددان ١ ، ٢ ، عام ١٩٣٢

الوثيقة الثالثة

آ. مهمّات الحزب الشيوعي الفلسطيني في الأرياف

(قرار المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني ١٩٣١)

تعريب الحزب ، العمال الزراعيون ، اسقاط الامبريالية ، الأرض لمن يزرعها، الاتجاه إلى ثورة مسلحة ، حلول ثورية ضد الاقطاع ، النضال ضد الغاصبين الصهيونيين ، لجان فلاحين ، النضال ضد الاصلاحيين القوميين ، فضح القيادة الخائنة ، دعاية لفكرة السوفيات ، عمال وفلاحون ، مطالب انتقالية، استفادة من الاحتفالات، نشرات قصيرة وسهلة ، أشكال التنظيم ، خلايا الحزب والشبيبة .

ب. العمل بين الفلاحين والنضال ضد الصهيونية

(موضوعات صادقت عليها سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني)

١ . المسألة الزراعية في فلسطين

المسألة القومية مسألة فلاحية ، الفلاحون ، الأرض ، نزع ملكية

الفلاح ، الفلاحون المحرومون من الأرض ، البدو ، التجزئة العربية، الفلاحون الصغار ، أشكال الاستغلال الاقطاعي .

٢ . اصلاح زراعي أو ثورة زراعية

وضع المسألة . نقد برامج الحكومة ، والجماعات القومية العربية ، والصهيونيين . الحل الثوري الشعبي .

٣ . النضال ضد الصهيونية

١ . ماهية الصهيونية ، وتحالفها مع الامبريالية ، والسكان اليهود .
٢ . مراحل المخطط الصهيوني : توطين ، تهجير الفلاحين ، صندوق المال اليهودي ، موقف كبار الملاكين العرب ، امتيـــازات سياسية لليهود ، وجوب استثمار تناقضات العدو ، سير التمايز الطبقي داخل البروليتاريا اليهودية ، الأحزاب العمالية اليهودية ووجوب محاربتها .

ملاحظة : هذه الصفحة مضافة من قبل المعرّب .

آ. مهمّات الحزب الشيوعي الفلسطيني في الأرياف[٩]

(قرار المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني)

١ . انطلاقاً من المبدأ القائل إن الثورة الزراعية هي الشيء الأهم ، في بلد زراعي مثل فلسطين ، ونظراً لأن المهمة الأساسية للحركة الشيوعية ـ تحرير البلاد القومي والاجتماعي من الامبريالية البريطانية ومن نير الصهيونية وطبقة الأفندي ـ هي المقدمة الضرورية للنضال في سبيل الهدف الأخير ـ دكتاتورية البروليتاريا ـ ، فإن الحزب الشيوعي يجب عليه أن يزيد فقط كوادر القوى الثورية القادرة على توجيه نشاط الفلاحين في الطريق الصحيح ، أي كوادر

العمال العرب الثوريين . لذا فإن تعريب الحزب ، أي تحويله إلى الحزب الحقيقي للجماهير الكادحة العربية ، هو الشرط الأول والأساسي لعمل ناجح في الأرياف .

٢ . وإلى جانب ذلك ، يجب على الحزب ، مع الاستمرار في تعزيز نفوذه بين عمال المدن (عمال الصناعة ، والنقل ، والعمال غير المهرة) الذين يشكلون دعمه الرئيسي ، أن يبدأ في إنشاء روابط دائمة مع جمهور الفلاحين المحرومين من الأرض والفلاحين الذين يملكون أرضاً صغيرة جداً . إن عدداً كبيراً من أنصاف ـ البروليتاريين (العمال الموسميين) والعمال الزراعيين يشكلون في البلاد العربية الرابطة الحيوية بين الفلاحين والطبقة العاملة الفتية في المدن . ولذا يجب على الحزب الشيوعي الفلسطيني أن يوجه كل جهوده نحو نضال نشيط من أجل **انصاف ـ البروليتاريين والعمال الزراعيين** .

إن أهم واجب هو إنشاء نقابات عمال البناء ، المستخدمين في المشاريع العامة ، ونقابات العمال الزراعيين . كذلك يجب طرح مطالب خاصة بتحسين أحوال العمال الزراعيين ، كرفع الأجور وغير ذلك ، على أن ترافق هذه المطالبَ ،

في الظروف النوعية التي تسود في فلسطين، حملةٌ قوية ومتواصلة ضد طرد العمال العرب من قبل **الصهيونيين** ، وإنشاء جبهة متحدة للعمال العرب واليهود من أجل النضال ضد الاغتصاب الصهيوني والاستثمار الذي يمارسه المعمّرون والزرّاع والمشاريع الزراعية . إن المطالب العيانية للعمال الزراعيين هي : زيادة الأجور ومساواة دخل العمال العرب واليهود ، إلغاء أشكال الاستثمار الاقطاعية ، حماية عمل النساء والأولاد ، الخ .

٣ . الشعارات الكبرى للحزب الشيوعي فيما يتعلق بالفلاحين الفقراء والفلاحين الصغار ، وبفقراء البدو الذين يؤلفون بوجه عام ٣٥ ٪ من السكان ـ خارج المدن ، هي التالية : **الاطاحة بالامبريالية البريطانية** ، التي هي مستعبِدة الفلاحين والتي تساند الاستعمار الصهيوني والاستثمار الاقطاعي الرأسمالي للفلاحين من قبل الملاكين وأصحاب المزارع العرب واليهود . فبدون الإطاحة بالامبريالية البريطانية ، لا يمكن حل المشكلة المركزية ، مشكلة الفلاحين المعدمين والفلاحين الصغار ـ مشكلة **الأرض** .

٤ . « الأرض لمن يزرعهـا ، ولا خمس أو ثلث يدفـع عليها » ؛ « ولا دونم واحد للغاصبين الامبرياليين والصهيونيين؛ مقاومة الفلاحين المسلحة لأية محاولة تبذل لمصادرة محاصيل الفلاحين أو أراضي الحرث » ؛ الاستيلاء الثوري على الأرض العائدة للحكومات ، والمعمّرين اليهود الأغنياء ، والطوائف الصهيونية ، وكبار الملاكين والمزارعين العرب ، وتوزيعها من قبل لجان الفلاحين على الفلاحين الذين لا يملكون أرضاً وأولئك الذين يملكون أرضاً صغـيرة جداً ، وعلى البدو - تلك هي الشعارات الأساسية الثلاثة للحزب الشيوعي في مسألة الأرض. ومع مطلب الأرض للفلاحين والنضال ضد نزع الملكية ، يجب على الحزب الشيوعي أن يقدم شعار حماية المراعي للبدو وأن يعارض طردهم من المراعي .

٥ . رداً على اضطهاد الحكومـة ، من الضروري رفـع الشعارات الآتية : **عدم دفع الرسوم** (الأعشار) ، **رفض دفع التعويضات** المفروضة على القرى بعد انتفاضة شهر آب ، تسريح الشرطة التي سخرت من الفلاحين . غير أن المقاومة السلبية وحدهـا (عدم دفع الرسوم ، رفض تنفيذ العمـل

الاجباري) لا تكفي : إن حل المسائل الملتهبة كافةً ، والتصفية الحقيقية للاضطهاد ، ذلك ممكن فقط **بثورة مسلحة** تحت قيادة الطبقة العاملة .

٦ . إن الأشكال المتنوعة للاستثمار الاقطاعي من جانب ملاكي الأرض العرب يمكن أن يطيح بها الفلاحون خلال الثورة فقط : عدم دفع الرسوم لملاك الأرض والمرابي ، الاستيلاء على الأدوات والحبوب اللازمة للفلاح لزراعة الأرض، معارضة مصادرة المواشي تسديداً للديون ، مطالب جزئية على خط النضال ضد استعباد الفلاح من قبل الملاك العربي والمرابي وإدارة الأوقاف الخ .

٧ . عدم الاعتراف بالاتفاقات **المتصلة ببيع الأرض** على ظهر الفلاحين ، **النضال ضد الغاصبين الصهيونيين** الذين يسرقون أرض الفلاح ؛ رفض النقل إلى مناطق أخرى ، إلى شرقي الأردن أو سوريا أو داخل فلسطين ، مع دعوة العمال اليهود إلى قطع الصلة مع جماعات اللصوص والمعمّرين الصهيونيين ومد يد المعونة إلى الفلاحين المطرودين ــ تلك هي

الشعارات الحسية للفلاحين والبدو في نضالهم ضد التغلغل الصهيوني .

٨. بالتعارض مع أشكال التنظيم والاقطاعية والاكليريكية (المجلس ، الشيخ) ، يجب على الفلاحين أن ينشئوا منظمات للعون المتبادل ، وأن يختاروا لجان فلاحين لقيادة حملات منفصلة (نضال ضد الاستيلاء الصهيوني على الأرض ، عدم دفع الرسوم أو الأخماس)،وأن يقوموا بأعمال جماهيرية ،مثلاً، عدم دفع التعويضات أو الديون، تعبئة الفلاحين في القرى المجاورة، أو حتى في كل القطر ، مساعدة القرى المنفردة المعرّضة للمصادرة الصهيونية (وادي هافرس) ، وللحملات التأديبية الحكومية (تير ، الخليل) ، أو لتعسف الملاكين (نابلس).

٩ . نضال قوي ضد الاصلاحيين القوميين وجميع صنوف العملاء الصهيونيين الامبرياليين ، وفي الوقت نفسه ، نضال ضد أي مشروع مساعدة كاذبة من جانب الحكومة أو ملاكي الأرض . وبخاصة ، من الضروري تعزيز هذا النضال بالارتباط مع مشروع سمبسون المقترَح من أجل إقامة « مصرف

زراعي » و « قروض » متنوعة للفلاح . « لا صدقات ، بل إلغاء الخمس ؛ لا قروض جديدة ، لا مصارف كبار ملاكين وكولاك ، بل سقوط الديون القديمة* .

١٠ . إن فضح القيادة الخائنة ، قيادة طبقة الأفندي والمجلس والمفتي، يجب أن يحتل مكاناً بارزاً في عملنا التثقيفي . من الضروري ، بالاعتماد على انتفاضة شهر آب كمثال حسّي ، ان نبرهن للفلاحين أن نضالهم وتضحياتهم ستؤتي ثمارها فقط حين سينجحون في القضاء ليس على المستعمرين الصهيونيين وحسب ، بل أيضاً على الحكومة البريطانية وملاكي الأرض . من الضروري أن نعارض إعدام ثلاثة من الثوار في عكّا بالصفقة التي عقدها القادةُ العرب مع الامبرياليين ، وأن نوضح واقع ان ٩٠ ٪ من الأراضي التي اشتراها الصهيونيون إنما

* ملحوظة : النضال ضد الشعارات والمخططات الاصلاحية هام بشكل خاص ، لأن هذه الشعارات تخلق وهماً للفلاح ، وتجعله يخلد إلى الهدوء موقتّاً ، بينما هي في الواقع تزيد عبوديته (المصرف الزراعي وتقديم قرض هما أقوى أسلحة نزع الملكية) . إن شعاراتنا تسير باتجاه حل ثوري ، لا حل اصلاحي للمسألة الزراعية .

ابتاعوها من ملاكي الأرض العرب ، الذين يجمعون أراضي الفلاحين بين أيديهم تحت ستار « إنقاذ » هذه الأراضي من الصهاينة ، ولكنهم بالحقيقة إنما يفعلون ذلك حتى يتمكنوا من استغلال الفلاحين (شرح « نضال » الأسياد الاقطاعيين ضد الصهيونية) . ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنضال ضد ملاكي الأرض النضالُ ضد أعوانهم وسماسرتهم البغيضين . هذا النضال يجب أن يوسّع وأن يُدخل كجزء في النضال ضد طبقة الأفندي والصهاينة .

إلا أنه يجب ، خلال عمل التوضيح ، إعارة انتباه دقيق للشروط الحية والعوامل الدينية المتصلة بتخلف الفلاحين وجهلهم ، وفي هذه المرحلة ، لا يجوز بأي حال مسّ مسألة « الدين » و« رجال الدين » والوقف الخ . إن الدعاية الكثيفة التي يقوم بها الصهاينة ، الهستادروت * ، وعناصرُ من الريف العربي أفسدها الصهيونيون بالمال ، على أساس شعار « السلم » الكاذب ، تجعل من الضروزي أن نأخذ علماً بهذا النشاط وأن

---

* تنظيم نقابات العمال الصهيوني – وهو فرع من أممية آمستردام .

نفضحه دونما شفقة . إن جواب « السلم » المزعوم هو وادي هافرس ، وجواب « تضامن العمال » المزعوم هو آ فـــادا ايفريت * ، الخ ، الخ .

١١ . حتى في الوقت الحــاضر من الضروري أن نقوم بين الفلاحين بدعاية واسعة لفكرة مجالس السوفيات . اقتفاء لمثال حل المسألة الزراعية والقومية في الاتحاد السوفياتي ولمنجزات الفلاحين الصينيين الجديدة، من الضروري أن نزرع في الفلاحين الثقة بقوتهم وأن نمهّد السبيل للنضال من أجل حكومة ثورية عمالية وفلاحية ، تستطيع وحدها أن تحل قضايا الفلاحين بأسرهــا .

١٢ . إن تبـــادل زيارات العمال والفلاحين ، ليس بين الأفراد وحسب ، بل كذلك بين الجماعــات في المدن والقرى

---

* أي « العمل اليهودي » – وهو شعــــار حملة الصهاينة لطرد العمال العرب وإحلال العمال اليهود محلهم .

المتجاورة ، وسيلة بالغة الأهمية للاتصال ولتحقيق كتلة العمال والفلاحين بصورة محسوسة .

١٣ . على الحزب الشيوعي أن يقدم عـــدداً من المطالب الانتقالية المرتبطة بالحاجات اليوميـة للفلاح واقتصاده : ري أرض الفلاح على حساب الحكومة ، تحسين الطرقات ، تخفيض أسعار النقل في سكك الحديد ، إلغــاء العمل الإجباري ، توزيـع قروض دائمة، خصوصاً للفقراء وضحايا الآفات الطبيعية (الجراد ، الفئران ، الجفـــاف ، الزلازل ، الخ) ، بناء المدارس والمستشفيات في القرى، إلغاء التوقيف بسبب الديون، إلغاء مصادرة الأملاك ، إلغاء التعذيب الجسدي ، الخ ، الخ .

١٤ . استخدام تجمعات الفلاحين استخداماً واسعاً (الجمعة في المساجـــد ، النبي موسى ، النبي روبين ، الخ) من أجل الدعاية لشعارات الثورة الزراعيـة ، مع التذكر بأن في مثل هذه الاحتفالات الجماهيرية ترتفع طاقـــة الفلاحين الكفاحية ارتفاعاً ملحوظاً .

١٥ . نشرات الدعاية للفلاحين يجب أن تُكتب في أبسط لغة وفي شكل قصاصات ومنشورات قصيرة . ويجب أن تُوزّع ، قدر الإمكان ، من قبل الفلاحين أنفسهم .

١٦ . إن أشكال التنظيم في القرية يجب أن تكون كما يلي : إنشاء لجان الفلاحين والاتحادات المحلية للفلاحين المحرومين من الأرض والفلاحين ذوي أرض صغيرة جداً . هذه اللجان يجب أن تكون منتخبة وان تتمتع بثقة الفلاحين الكاملة .

١٧ . إن أهم واجب هو إنشاء خـــلايا الحزب والشبيبة الشيوعية في القرى من أجل قيادة العمل بين الفلاحين .

ب . العمل بين الفلاحين والنضال ضد الصهيونية

(موضوعات صادقت عليها سكرتارية اللجنة المركزية
للحزب الشيوعي في فلسطين)

١ . المسألة الزراعية في فلسطين

١ . إن انتفاضة آب ١٩٢٩ وجهت انتباه الحكومة الاستعمارية وكذلك انتباه جميع الأحزاب في البلاد ، الى الفلاح العربي . وظهرت المسألة الزراعية أمام الامبرياليين الانكليز وحلفائهم (الصهيونيين) في كل أبعادها . وصدر عدد من الدراسات البالغة الأهمية ، تشرح حالة الفلاح والحركة

الزراعية في البلد : لجان تحقيق جونسون – كروبي وسمبسون وفيلكانسكي * .

مرة أخرى ، ثبت ، بالدليل السياسي المحسوس ، المبدأ القائل « ان المسألة القوميـــة هي بصورة رئيسية المسألة الفلاحية » (لينين)، وان ثورة منتصرة في الأقطار العربية ، في هذه المرحلة ، إنمـــا تتوقف بالدرجة الأولى على التقديم الصحيح من قبل الحزب الشيوعي (حزب الطبقـة العاملة ، الذي لا يزال فتياً في هذه الأقطار) للمسألة الفلاحيـة وعلى سياسة الحزب الصحيحة فيما يتصل بجماهير الفلاحين الأساسية .

٢ . ماذا يشكل الفلاحون العرب في فلسطين ؟

يعطي سمبسون الأرقام التالية عن ١٩٣٠ :

---

* لجنة جونسون – كروبي ولجنة سمبسون هما لجنتان حكوميتان انكليزيتان حققتا في وضع فلاحي فلسطين ، ١٩٢٩–١٩٣٠ ، ونشرتا تقريرين . أما فيلكانسكي فهو عالم زراعي صهيوني ، نشر كتاباً عن حالة الفلاحين العرب ، سنة ١٩٣٠ .

سكان المدن	٣٤٠٫٩٦٢
خارج المدن	٦٠٥٫٠٢٩
البدو (من أصل الرقم السابق)	١٠٣٫٣٣١

وإذا أضفنا إلى ذلك أن عـــدد اليهود في المدن هو ١١٥٫١٠٠ ، وأن قسماً كبيراً من السكان العرب في المـدن مرتبط بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالأرياف ، سيظهر لنا أن حوالي ثمانين بالمئـة من السكان العرب في فلسطين هم من الفلاحين أو أنصاف ــ الفلاحين ، المنخرطين في الزراعـة . بالحقيقة ، حسب احصاءات الحكومة ، يبلغ عـدد العائلات العربية المشتغلة في الزراعة ٨٨٫٩٨٠ أسرة .

فيما يتعلق بمسألة بالغة الأهمية ، هي مسألة التمايز الطبقي لسكان الأرياف ، لا توجد أية إحصاءات ، سواء حكومية أو صهيونية . وعلينا أن نقارن الأرقام الواردة في صحف وتقارير مختلفة حتى نستطيـع أن نصـــل إلى الجدول الآتي (الاحصاءات الامبريالية تنظر ، عادة، إلى الفلاحين كوحدة، وتقسم الأرض ميكانيكياً حسب « رؤوس » العائلات) .

جدول رقم ١

العدد الإجمالي للعائلات المشتغلة في الزراعة ٨٦,٠٠٠
يملكون ٩ ملايين دونم من الأرض

	عدد العائلات	مساحة الأرض بملايين الدونم
عائلات بلا أرض		
(آ) عمال زراعيين	٢٥,٠٠٠	—
(ب) محاصصين	١٥,٠٠٠	—
اقتصادات الفلاحين الصغار	٤٦,٠٠٠	٥
ملاكي الأرض	٢٥٠	٤

هكذا ، نجد في القطب الأول ٢٥٠ ملاكاً يملكون ٤,٠٠٠,٠٠٠ دونم من الأرض ، وفي القطب الآخر ٢٥,٠٠٠ عائلة فلاحية بدون أرض . وبين القطبين ٤٦,٠٠٠ اقتصاد فلاحي صغير ، على أساس قطعة مستقلة وبمعدّل ١٠٠ دونم لكل عائلة، و١٥,٠٠٠ يعملون كمستأجرين للأرض التي يملكها الملاكون .

٣ . تكفي هذه الأرقـــام لبروز المسألة الأساسية التي تواجه جمهور الفلاحين الفلسطينيين : مسألة **الأرض** . إن « المنظّرين » الاستعماريين والصهيونيين يزعمون أن الفلاح يملك « ما يكفي من الأرض ، بل أكثر ممـــا يلزم ، وإن المسألة كلها تتوقف على **كيفية زراعة** هذه الأرض » . هذا التقدير لا يقف على قدم : فحوالي ٣٠ ٪ من الفلاحين ليس لديهم أي أرض ، وأكثر من ٥٠ ٪ يملكون أرضاً صغيرة ، وهكذا فإن ٨٠ إلى ٩٠ بالمئة من السكان الزراعيين يواجهون مسألة ملحة ومباشرة : أن يحصلوا على أرض ، أو أن يزيدوا ما يملكون منها . وبانتظار ذلك ، فإن التطور ، في السنوات العشر الأخيرة ، يسير قدماً باتجاه ازدياد لا انخفـــاض عدد الفلاحين المحرومين من الأرض والفلاحين الذين يملكون أرضاً صغيرة جداً . والحكومة الانكليزية تعلل هذا السير بازدياد عدد **سكان** البـــلاد . في الواقع ، إن نقص الأرض ناتج عن الاغتصاب المتواصل لأراضي الفلاحين من قبل الحكومـــة والصهيونيين وملاكي الأرض .

٤ . إن نزع **ملكية** الفـــلاح هو السبب الكبير في فقره وجوعه للأرض . ونزع الملكية هذا يتخذ أشكالاً متنوعة :

(آ) **نزع الملكية من قبل الحكومة** : فالحكومة البريطانية قد استولت على كل الأراضي التي كانت تنتمي إلى فئة الجيفتليك* ، وبالاضافة إلى ذلك ، فقد أصدرت في عام ١٩٢٨ قانوناً خاصاً يخوّل المفوض السامي في فلسطين بالاستيلاء على أي أرض تحتاجها الحكومة . وهذا النشاط الاستيلائي للحكومة قد أصاب تلك القطاعات اللازمة لأغراض استراتيجية (سكك حديدية، موانىء ، الخ) أو لامتيازات (البحر الميت ، والأراضي اللازمه لمستودعات النفط) .

(ب) **نزع الملكية من قبل ملاكي الأرض** : إن هذه العملية التاريخية الطويلة ، التي بدأت في ظل الأتراك ، قد ظهرت بشكل أشد منذ الاحتلال الانكليزي . فنظام الكاداستر الذي أدخلته الحكومة الانكليزية قد كان إسهاماً جدياً في الاستيلاء على الأرض من قبل ملاكي الأرض وفي إعطاء هذا النهب الصفة الشرعية القانونية . حتى إن بعض أشكال الاستثمار الزراعي الخاصة بفلسطين تتحوّل إلى أدوات

---

* في الامبراطورية التركية ، اسم أطلق على الأرض التي كانت في الأصل ملكاً للسلطان ، ثم أصبحت عملياً أملاكاً للدولة .

لمصادرة ملكية الفلاحين من قبل كبار الملاكين . هكذا في سنة ١٩٢٨ في قرى فلسطين العربيــة كان ٥٦ ٪ من الأرض « مشاعاً » ، وانخفضت هذه النسبة في سنة ١٩٢٩ إلى ٤٦٪. في آخر العقد الجاري ، تخطط الحكومة لتحويل كل الأرض « المشاع » إلى « مفروز » (أي تقسيمها) . ولكن هذا « التقسيم » في أماكن كثيرة ما هو سوى تمويه لمصادرة أرض الفلاح من قبل ملاك الأرض . ففي الظروف الحاضرة ، ليس الدخل المتأتي من الأرض في شكل « خمس » يناله من الفلاح ، ليس هاماً لملاك الأرض بقدر ما هي هــامة إمكانية بيع الأرض أو تحويلها إلى مزرعة حديثة ؛ ومعالجة ُ أمرِ فلاحين منفردين أسهلُ بكثير من الاتفاق مع جماعة بأسرها .

هكذا ، فإنها مقدمة ٌ خاطئة يؤيدهــا « المنظـّرون » الصهيونيون ، وجماعـــة بوال زيون ، ويشاركهم فيها بعض الشيوعيين ، المقدمة ُ التي تنظر إلى تقسيم « المشاع » فقط من زاوية التقدم الرأسمالي : أي الانتقال من اقتصاد طبيعي إلى اقتصاد نقدي ، وايجاد طبقــة من الملاكين الفلاحين الصغار . ففي هذه الحـــالة المحددة ، تحت ظل الاضطهاد الامبريالي والصهيوني، وحكم طبقة الأفندي التعسفي، إن توزيع «المشاع»

هو طريقة نزع ملكية الفلاح الصغير ، وهو يسهّل تنفيذ المخططات الامبريالية الصهيونية . وليس نادراً ما يتم نزع ملكية الفلاحين على يد ملاكي الأرض بالاتفاق مع الحكومة والصهيونيين . وفي هذا المضمار، مما يلفت الانتباه ان الانكليز، في سنة ١٩٣٠ ، اضطروا تحت ضغط الحركة الزراعية الى إصدار قانون يحدّ من بيع الأرض للصهيونيين. ولكن الملاكين العرب تحايلوا على القانون وتخطّوا المنع وباعوا الأرض . إن جريدة **فلسطين** الصادرة باللغة الانكليزية ، في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٣٠ ، قد لفتت الانتباه إلى حقيقة بالغة الأهمية : وهي أن الملاكين العرب ، بعد صدور « البيان الأبيض » ، وجدوا ان هناك ، من وجهة النظر الانكليزية ، ثغرةً في التحريم الوهمي لبيع الأراضي التي يسكنها الفلاحون العرب، فأخذوا يُخرجون الفلاحين الفقراء من الأرض «سلفاً»، بحيث تظهر الأرض في وقت البيع « خالية » وبذلك يكون نقلها إلى الصهيونيين ممكناً .

(ج) **نزع الملكية من قبل الصهاينة** : بالنسبة للفلاح ، إن نزع الملكية الصهيوني هو الأخطر والأقسى . فبينما في حالة نزع الملكية من قبل الحكومة أو ملاكي الأرض ، لا يُخرج

الفلاحُ عادةً من الأرض بصورة مباشرة (رغم ان نزع الملكية يوفّر أساساً قانونياً لإخراجه) ، فإن الشركات الصهيونية لا تستطيع إلا أن تطرده .

حسب الاحصاءات التي يعرضها ل . فرح ، وهو عالم زراعي عربي ، تمّ طرد ٨٫٧٢٠ فلاح في سهل واحد من شمالي البلاد . واذا أضفنا الى ذلك ، نزع الملكية الحاصل في العام الماضي في مناطق أخرى ، فان عدد الفلاحين الذين أخرجهم الصهاينة يزيد عن ٢٠٫٠٠٠ .

إن الحملة الصهيونية تتميز عن الحكومة والأسياد الاقطاعيين، أيضاً في كونها تحرم الفلاح من أية فرصة للحصول على عمل ، وهي بذلك تحوّل الفلاحين المنزوعي الملكية إلى « جيش احتياطي » فائض للعمل ، إلى جيش من العاطلين عن العمل المشردين .

(د) نزع الملكية من قبل جمعيات دينية ورأسمالية متنوعة : لا يجوز أن ننسى نشاط جمعيات المبشرين المتنوعة (الانكليزية والفرنسية والأميركية) ، ونشاط الرأسماليين من مختلف القوميات الذين يشترون الأرض وفي كثير من

الأحيان يستخدمون البرجوازيين الكومبرادور العرب (في الغالب ، المسيحيين) كواجهة أو ستار . إن نهوض الحركة في سنة ١٩٢٨ (المظاهرات الجماهيرية في غزة وغيرهـــا من المدن) ضد مؤتمر الارساليـــات التبشيرية لم يكن دينياً في طبيعتــه ، بــل كان يعكس استعداد الفلاحــين المعــادي للامبريالية .

٥ . إن طبقة الفلاحين المحرومين من الأرض ، التي تنمو باستمرار ، نتيجة حركة نزع الملكية ، هي العامل الثوري في القرية والمدينــة معاً . ولا يجد مخرجــاً في الهجرة والاغتراب سوى قسم صغير لا شأن له من الفلاحين المحرومين من الأرض (بصورة رئيسية في المناطق التي يسكنها المسيحيون والبدو). إن عدد المهــاجرين العرب في السنوات الثماني الأخيرة يبلــغ ١٠٫٥٧٥ (بينهم ٨٫٥٨٥ من سكان البلاد الأصليين) ، مما يشكل حوالي ١٫٥ ٪ من السكان الأصليين ، الذين يؤلف الفلاحون غالبيتهم العظمى . والفــلاح الذي فقد ملكــه ، لا يجد عملاً في قريته ، وهو يقدّم عملاً رخيص الثمن لمستثمريه، الملاكين العرب والمعمّرين اليهود ، في مناطق أخرى. وحسب

الاحصاءات الحكومية لعام ١٩٢٩ (تقرير ، ص ١٢٧) « إن العامل الزراعي الذي يشتغل مع زوجته وإبنه تقاضى من ٥ إلى ١٢ قرشاً في اليوم » .

إن قضية الحرمان من الأرض ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقضية البروليتاريا الزراعية. ومن الصواب المؤكد أن نقول، كقاعدة عامة، إن الامبريالية والصهيونية ، إذ تطردان الفلاحين العرب من أراضيهم ، لا تضعان حداً لأساليب الاستغلال الاقطاعي لهؤلاء الفلاحين ، إلا لتتركهم فريسة للجوع ، ولتخلق منهم، في سوق ضيقة وغير متطورة ، يداً عاملةً رخيصة (شحّاذة) للاستغلال الرأسمالي الذي يخفّض مستواهم المعاشي بشكل ملحوظ . والمثال الذي يذكره سمبسون ناقلاً كلمات رئيس المهندسين في ميناء حيفا (تقرير سمبسون ، ص ١٣٤) مثال صاعق حقاً : فقد أُخذ أربعون من الفلاحين العرب للعمل في مقلع حجارة آتليت ، وفي اليوم التالي تقدم حوالي ٤٠٠ إلى ٥٠٠ فلاحاً يطلبون عملاً . بين جماهير الكادحين في فلسطين ، يشكل الفلاحون المحرومون من الأرض وأنصاف-البروليتاريين والعمال الزراعيون أكثر الطبقات معاناة للاضطهاد وأكثر

المراتب فقراً ، وهم ينطوون ، كما بينت ذلك انتفاضة شهر آب ، على طاقة ثورية جبارة .

٦ . وبالارتباط الوثيق مع مسألة الفلاحين المحرومين من الأرض والعمال الزراعيين العرب ، نجد **مسألة البدو** . إن تعداد البدو في فلسطين، حسب الإحصاء الرسمي لعام ١٩٢٢، يبلغ١٠٣,٠٠٠ . إن حالة البدو وأنصاف ـ الحضر تتحدّى الوصف . إن مساحة المراعي الحرة للابل وغيرها من المواشي هبطت إلى الحد الأدنى ، وفي الوقت نفسه ، فإن تعزيز الجهاز السياسي الاستعماري وتقسيم العَرَبَةِ إلى أقاليم تحت « انتداب » متنوع قد حطّما إمكانية « الغزو » .

إن الجوع الدائم هو مصدر لغضب دائم بين البدو ، وهذا الغضب يبقى دائماً على حافة الانتفاضة المسلحة . ومما يلفت النظر أن الحكومة الاستعماريه لم تجرؤ حتى الآن على تجريد القبائل البدوية من السلاح ، سواء في شرقي الأردن أو في فلسطين . إن اشتراك البدو في انتفاضة شهر آب يدلل على الدور الكبير الذي يمكن أن يلعبوه في تمرد ثوري للجماهير . وفي الوقت نفسه ، يغدو من الواضح أن شيوخ وزعماء هذه

القبائل يمكن أن يفسدوا بالمال ، ولا ننسى صلاتهم مع كبار رجال الدين (المجلس الاسلامي) ومع الامبرياليين .

إن المسيرة إلى الشمال التي بدأها بدو جنوب فلسطين قد حطمت نتيجة المفاوضات التي أجراها الكابتن الانكليزي ، ليلار ، مع الشيوخ . أما بخصوص بدو شرقي الأردن ، فإن « الخطر البدوي » (اشتراك البدو في انتفاضة شهر آب) قد تمّ تداركه بواسطة القوات الانكليزية (تقرير الحكومة ، عام ١٩٢٩ ، ص ١٤٣) .

إن الحل الوحيد لمسألة البدو هو في نقلهم إلى اقتصاد الاستقرار . ولكن على الرغم من بعض مناورات الامبرياليين في هذا الاتجاه (تخصيص ٣٠٠٠٠ دونم من الأرض للبدو)، فهم ليسوا في حالة تُمكّنهم من الاستصلاح والتعمير بشكل جدّي ، وإن إفقار القبائل البدوية يسير سيراً أسرع بكثير من توطّنهم في الأرض . والبدو يمدّون بلا انقطاع جيشَ الفلاحين المحرومين من الأرض وأنصاف ـ البروليتاريين بأيد وأفواه جديدة .

إلى جانب الفلاحين المحرومين الأرض الذين يضمون جماهير السكان الزراعيين العرب الأساسية ، هناك عدد كبير من

الفلاحين ذوي أرض صغيرة جداً . وحسب أرقام لجنة شو ، فإن المساحة الدنيا اللازمة لإطعام عـــائلة فلاحية هي ١٣٠ دونم ، بينما القطعة الوسطية في الوقت الحاضر لا تزيد عن ٩٠ إلى ١٠٠ دونم . وبالإضــافة إلى الخطر الدائم المسلط على الفلاح ، وهو خطر نزع الملكية التام ، يجد الفلاح نفسه تحت نير استغلال فظيع، لا ينفكّ يُخفّض مستواه المعاشي ويحوّله إلى عبد .

في الأقطار العربية ، **يرتدي الاستغلال الاقطــاعي للفلاحين شكلاً خاصاً** . إن أهم صور هذه العبودية الاقطاعية هي الآتية :

(١) **نظام الايجار** ، ويرتكز على أساس العقد الأحادي الطرف . فالأرض ملك للسيد الاقطاعي ، والفلاح ، مقابل حق زراعتها على **نفقته** الخاصة **ومجازفته** الخـــاصة ، يدفع الخمس ، الذي يصل في الواقع إلى الثلث ، بل وإلى النصف من المحصول . ويحق للملاك في أي لحظة أن يلغي العقد دون سابق إنذار وأن يطرد الفلاح .

(٢) **نظام الديون:** بالرغم من أن نظام القنانة غير موجود رسمياً ، في الأقطار العربية ، فإن ملاك الأرض لا يستطيع أن **يطرد** الفلاح متى شاء وحسب ، بل يستطيع أيضاً أن **يربطه** بالأرض . وأداة هذا الاستعباد هي عدم تسديد الفلاح ديونه . فالفلاح ، الذي لا يملك رأسمالاً دائراً أياً كان (رأسماله الأسامي يبلغ ، حسب المستر فيلكانسكي حوالي ٢٠ إلى ٣٠ جنيهاً استرلينياً، ويجب أن نذكر أن الفلاح المتوسط، لا الفلاح الفقير ، هو المأخوذ أساساً في هذا التقرير) ، يجد نفسه مضطراً للّجوء إلى « أخذ قرض » من الملاك أو من المرابي ، أو من الاثنين معاً . وتصل فائدة القرض إلى خمسين بالمئة (« عشرة خمسة عشر »*) . والفلاح الذي ليس له أية فرصة ليحرّر نفسه من ديونه ، يتحول إلى **قنّ** ، يعمل بلا انقطاع لصالح دائنه . ويقول المستر بومان ، مدير دائرة التربية والتعليم في فلسطين : « إن حالة السكان الزراعيين تتحدّى كل وصف . لا توجد قرية واحدة لا تنأى تحت عبء

---

* حرفياً ، ١٥ مقابل ١٠ ، أي مقابل كل عشرة قروش يستقرضها الفلاح من المرابي أو الملاك في بداية الصيف ، سيدفع ١٥ قرشاً بعد الحصاد .

الديون ... وفي بعض الأماكن ، النقدُ نادر لدرجة أن الفلاحين لا يستطيعون أن يسددوا ديونهم بدون أن يعقدوا ديوناً جديداً . « لسنوات عديدة خلت ، كنا في مياه هادئة، ولكن قريباً ستغطي الميـــاه رؤوسنا » - ذلك هو تعليق الفلاحين النموذجي (تقرير سمبسون ، ص ٦٥) .

(٣) السمة المميزة الثالثة للاستغلال الاقطاعي في فلسطين هي الصلة الوثيقة بين الملاكين الاقطاعيين والحكومـــة . فالحكومة بواسطة الرسوم والضرائب تنهب الفلاح بقدر ما ينهبـه مـلاك الأرض ، وكل جهـــاز الدولة (البوليس ، السجون ، الخ) موضوع تحت تصرّف الأسياد الاقطاعيين . ولم تمتنع الحكومة الانكليزيه عن إلغاء القانون الاقطاعي الصريح القاضي بالسجن على المديون وحسب ، بل يجري تطبيق هذا القانون على نطاق واسع لدرجـة انه يمكن القول بدون مبالغة إن غـــالبية الفلاحين العرب قد ذاقوا السجن لتأخرهم عن تسديد الديون .

(٤) السمة الرابعـة هي الرابطة بين الأسياد الاقطاعيين وكبار رجال الدين المسلمين ، ومن خلالهم مع الحكومة . وقد

كانت هذه الرابطة قوية وثابتة بشكل خاص في ظل السلطان الذي لم يكن يحكم الأراضي « الفــاهري » فقط ، بل أيضاً الأراضي « الميري »* . هذه الحال دفعت بعض الشيوعيين إلى تأويل خاطىء لأسلوب الانتاج الآسيوي ، مفادُه أن هذا الاسلوب ينفي وجود العلاقات الاقطاعية في البلاد العربية : بالحقيقة ، إن إدارة الأرض من قبل السلطان كانت تتمّ عبر طبقة سميكة من الأسياد الاقطــاعيين والباشوات وملاكي الأرض ، الذين كانوا يطبقون نفس أسلوب الاستثمار الاقطاعي الذي طبقه الملاكون الروس في العهد القيصري ، بوجــه التقريب . والامبريالية الانكليزية تحمي هذه الرابطة . فهي تحاول أن توجد ضرائب من أجل الأوقاف ، ولقــاء ذلك تؤمن لنفسها نفوذاً حاسماً في هذه المؤسسة .

(٥) العلامة الخامسة للعلاقات الاقطاعية في القرية العربية هي « الهنا » — أي الحماية التي يشمل بهــا السيد الاقطاعي فلاحية في علاقاتهم مع القرى الأخرى ، ومع السلطات .

---

* فاهري : أراضي الدولة أو التاج . ميري : أراضي البلديات .

هذا « الهنا » يخلق وهمَ مصلحة مشتركة بين الفـلاح وملاّك الأرض .

(٦) لا تقل أهمية عن هذه (وإن هي ثانوية بالمقارنة مع مسألة الأرض ، وليست المسألة الكبرى ، بخــلاف زعم الصهيونيين) مسألةُ الري والاستخدام العقلي للأرض ، في البلاد العربية . ولقد أشار ماركس إلى أهمية الري الكبرى في بلاد الشرق . ولما لم تكن الامبريالية والاقطاعية لتهتمّا بتطوير البلاد ، فإنهما تعرقلان تكثيف الزراعة بكل الوسائل الممكنة. والرساميل اللازمة للري لا تُستورد إلا بالقدر الذي يسمح به نزع ملكية الفلاحين وتحولهم إلى يد عاملة بالأجرة (في المزارع الحديثة وغير ذلك) . إن إثراء بعض الفلاحين الميسورين في مناطق يُدخل اليها الري لصــالح المزارعين الرأسماليين ، ليس شيئاً مميّزاً بحال من الأحوال لجمــاهير الفلاحين العرب ، الذين يزداد إفقارُ غالبيتهم حدّةً حتى في تلك المناطق ذاتها . إن عدد الكولاك (الفلاحين الأغنياء) بين العرب عدد هزيل .

إن مساحة الأرض التي تملكهـا ٢٣,٥٧٣ عائلة تعيش في ١٠٤ قرى غطتها احصاءات سمبسون هي كما يلي :

جدول رقم ٢

عدد العائلات		حجم الأرض
١٦,٦٣٣	تملك أقل من	١٠٠ دونم
١,٤٦٣	تملك من	١٠٠ الى ١٢٠ دونم
١,٦٠٤	تملك من	١٢٠ الى ١٤٠ دونم
٣,٨٧٣	تملك أكثر من	١٤٠ دونم

(٧) إن الأشكال الرئيسية لاستغلال الفلاح من قبل الحكومة البريطانية (فضلاً عن مساندتها الكاملة للصهيونية الاستعمارية والملاكين العرب) هي كما يلي :

في المكان الأوّل ، الرسوم الباهظة . في عام ١٩٣٠ ، حددت الحكومة الاعشار لسكان الأقضية الريفية بـ٢٢٥,٨٤٩ ليرة ، ولكنها انتزعت فقط ١٢٠,٠٠٠ ليرة ، أي ٥٠ ٪ ؛ من الفِركو* المحدد بـ ١٩٢,٩٢٤ ليرة ، سُدّد ٦٠,٠٠٠ ليرة، أي ٣٠ ٪ فقط .

---

* رسم نقدي على الدونم ، مقابل الاعشار التي تدفع عيناً .

وكثيراً ما يستحيل الحصول على الرسوم بدون بيع الأرض بالمزاد . حتى تبعاً لرأي حاكم يافا « إن ٥٠ ٪ من السكان الزراعيين ، نظراً لدخلهم الصغير ، الذي لا يتجاوز ٣٠ ليرة في السنة وللعائلة المؤلفة من ستة أشخاص ، يجب أن يُعفوا من الرسوم والضرائب » . وهم لا يملكون أي شيء يمكن بيعه لتسديد ديونهم المتأخرة .

جدول رقم ٣

(مقارنة الرسوم في بعض الأقطار بالليرات الفلسطينية
على أساس الفرد من السكان)

البلد	الرسوم الاجمالية	الرسوم الزراعية
تركيا	١٫٨٢	١٫٤٣
مصر	٢٫٧٥	١٫٥١
اليونان	٢٫٨٥	١٫٧٣
فلسطين	٣٫٠٥	١٫٩٢

٢ . إصلاح زراعي أو ثورة زراعية

١ . إن مصير الفلاحين اليائس ، ونضالهم في سنة ١٩٢٩ ، والنمو الدائم للحركة الزراعيـــة – كل ذلك قد وضع المسألة الزراعية بجدّة أمام انتباه الامبرياليين البريطانيين ، وجميع الأحزاب العربية واليهودية في فلسطين .

إن حالة كهذه لا يمكن أن تستمر ، ومن الضروري إيجاد مخرج لهـــا . ومن هنا ، ظهرت ألوان من اللجان والتقارير الحكومية (جونسون ، كروبي ، سترنلاند ، سمبسون) ومطالب متنوعة تقدمت بها الأحزاب والصحف العربيـــة واليهودية . كل هذه الاقتراحات تفضي إلى تطبيق إصلاحات زراعيـــة . إن « تحسين » مصير الفلاح أضحى شعار جميع الأحزاب . فما هي هـــذه البرامج ؟ وعلى حساب مَن يجب تطبيق الاصلاحات ؟

٢ . في المكان الأول ، من الضروري النظر إلى « البرنامج الزراعي » للحكومة البريطانية . انه بمثابة خداع ديماغوجي . إن ما يسمى تخفيض رسوم « الأعشار » يفضي عمليـــاً الى

مضاعفتها . وفضلاً عن ذلك ، فإن « الاصلاحات » الزراعية التي تقدمها الحكومة ليس لها سوى هدف واحد : تحت ستار « تحسين » حالة الفلاحين ، مواصلة سياسة النهب الحكومية والصهيونية ، وتعزيز مواقع طبقة الأفندي ، وبالدرجة الأولى تأمين دفع الرسوم للحكومة ، التي تزداد حاجاتها يوماً بعد يوم (الانشاءات العسكرية ـ الستراتيجية ، الخ) . وكذلك الاقتراح الذي قدّمه مايلز بقرض قدره ٢,٨٠٠,٠٠٠ ليرة ، فهو يخدم نفس الغرض . إذ من الواضح ان الفلاحين المحرومين من الأرض لن ينالوا أي كسب ، مهما كان ، من هذا القرض ؛ إن « قيامهم بالاستصلاح والتعمير » (إذا ما حدث شيء من ذلك، أصلاً) سيكون نظاماً جديداً في استعبادهم واستغلالهم، بينما ان دين ٢,٨٠٠,٠٠٠ ليرة ، مضافاً إليه دين ٤,٥٠٠,٠٠٠ ليرة المتخلّف من سنة ١٩٢٧ ، سيزيد أكثرَ تبعيةَ البلاد للرأسمال البريطاني . أما المنح البائسة للفلاحين (مثلاً ، مبلغ ٣٥,٠٠٠ ليرة التي منحتها الحكومة) فما هي سوى محاولة لتهدئة الأرياف موقتاً . ولكن حتى هذه الهبات المزرية ستجد طريقها ، دونما شك ، لا إلى الفلاحين الفقراء ، بل إلى جيوب كبار الملاكين والكولاك .

إن « الاصلاح الزراعي » الحكومي ، الذي لا يمسّ بأي شكل أسس سياسة النهب الصهيونية أو أراضي ملاكي الأرض، والذي لا يحل مسألة الري وزيادة رأسمال الفلاح، لن يستطيع أن يوقف نمو الحركة الزراعية .

٣ . إن البرنامج الزراعي للجماعات القومية العربية المتنوعة ، بقدر ما هو ينبثق من برنامج اللجنة التنفيذية العربية ومن مطالب « أحزاب الفلاحين » العديدة ، يقوم على تخفيض الرسوم ، والنضال ضد « الوسطاء » ومطاردي الأرض الصهيونيين . إن صدق هذا البرنامج أمر مشكوك فيه كلياً ، طالما ان الملاكين العرب الممثلين في اللجنة التنفيذية هم أنفسهم يبيعون أراضي للصهيونيين .

ومهما يكن من أمر ، فلا القوميون العرب اليمينيون ولا « اليساريون» يبرزون تلك النقاط الأساسية في المسألة الزراعية الفلاحية التي هي حرمان الفلاحين من الأرض ، والاستثمار الاقطاعي للقرية من قبل ملاكي الأرض ، « الخمس » ، عدم قدرة الفلاح على تسديد الديون الخ . وحتى جماعة ، كجماعة حمدي الحسيني ، لا تقدّم مسألة الأرض للفلاحين . إن

الاصلاح الزراعي ، كما يريد تحقيقَه القوميون العرب ، سيؤول فقط إلى خداع الفلاح ، ذلك لأنه لا يحلّ المسائل الفلاحية الأساسية . أكثر من ذلك ، إن جميع مقترحات القوميين عن المسألة الزراعية تشكو من عيب واحد ودائم : إنها لا تربط حل المسألة الزراعية مع الاطاحة بالامبريالية . أما مطالبهم الجزئية فلا تتخطّى اطار نظام الانتداب الذي هو « دستوري » . ولهذه الأسباب ، فهم ليسوا عاجزين عن تنظيم حركة فلاحية وحسب ، بل هم في الواقع يعرقلون نموها وتطورها .

٤ . إن البرنامج الزراعي للصهيونيين ، بدءاً بالتحريفيين الى بوال زيون اليساريين ، يمكن تلخيصه بما يلي : تطبيق (من نافلة القول ، لا ضد الامبريالية البريطانية) **إصلاح** زراعي ، لا بقصد تحرير الأرض للفلاحين ، بل بقصد تحرير الفلاحين من الأرض ونقلها إلى المعمّرين اليهود الصهيونيين . وقد نشر المستر بيلِنسون ، وهو صحفي صهيوني بارز ، في جريدة الهستادروت ، « ملخصاً » عن أفكاره حول المسألة الزراعية ، كما يلي : « إن مصيبة الفلاح ليست في نقص الأرض ،

بل في فائضها » . وجماعـــة بوال زيون اليسارية تتبع نفس الخط ، فيما يتعلّق بنزع ملكية الفلاح باعتباره عاملاً تقدمياً في نمو الرأسمالية .

٥ . كل برامج الحكومة ، والقوميين العرب ، والصهيونيين ، تشترك في شيء هو انها جميعهـــا ترى حل المسألة الفلاحية « من فوق » فقط ، أي ، تريد إصلاحاً زراعيــاً يُطبق على نحو أو آخر من قبل الحكومـــة . وهم يرفضون حل المسألة الزراعية وفقاً لديناميكيتها الداخلية ، بمساعـدة الفلاحين ، أي يرفضون الطريقة « الشعبية » . إن وجودَ نفس طرق نزع ملكية الفلاحين واستغلالهم من قبل الامبرياليـة ، رغم الحركات الزراعية المتواصلة والمتكررة في فلسطين وفي بـلاد عربية أخرى ، الانتفاضات الفلاحيـــة في سوريا (١٩٢١ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٧) ، وفي العراق (١٩٢٠ ، ١٩٢١) ، وفي فلسطين (١٩٢١ و ١٩٢٩) ، وانتفاضات ـ أنصار عديدة للفلاحين ، ونموَ « اللصوصية » الفلاحية ، كل ذلك يبرهن على أن حل المسألة الزراعية في فلسطين وفي غيرها من البلدان

العربية ممكن بطريقة واحدة فقط ، هي الإطاحة بالامبريالية نتيجةَ ثورة زراعية منتصرة تقودها البروليتاريا .

٦ . إن مهمة الحزب الشيوعي ، بوصفه طليعة الطبقة العاملة ، الطبقة الوحيدة التي تتطابق مصالحها في المرحلة الحاضرة مع مصالح جماهير الفلاحين ، تطابقاً أساسياً ، هي توجيه القوى الفلاحية النشيطة الى خط النضال الحاسم ضد الامبريالية ، وفي هذا النضال تدمير سيادة البرجوازية القومية العربية ، وإحلال سيادة **الطبقة العاملة** محلها . بينما جميع الأحزاب الأخرى لها مصلحة في خدع الفلاحين وتشويه مطالبهم بالاتجاه الإصلاحي ، فان الحزب الشيوعي يمكن ويجب أن ينمّي **أساليب ثورية** في حل المسألة الزراعية . إن الحكومة الامبريالية تُؤَوّل ديماغوجياً حل المسألة الزراعية على أنه يتحقق على حساب « جميع السكان » ، الامر الذي يعني على حساب الفلاحين الفقراء ، على حساب ازدياد اضطهاد واستغلال الفلاحين ؛ والقوميون يرون حلّ المسألة في تعزيز مواقع ملاكي الأرض والبرجوازية ، واللعب بالنضال ضد الصهاينة ؛ والصهاينة يريدون أن يزيدوا نزع ملكية الفلاحين

ويموهون ذلك بالحديث عن النضال ضد ملاكي الأرض العرب. أما الحزب الشيوعي فهو يرى أن الحل الوحيد للمسألة الفلاحية يكمن في نضال ثوري ثائر تقوم به جماهير الفلاحين الأساسية تحت قيادة الطبقة العاملة بقيادة حزبها الشيوعي ، ضد الامبرياليين والصهيونيين والملاكين العرب .

٣ . النضال ضد الصهيونية

١ . « الصهيونية هي التعبير عن الجهود الاستثمارية والاضطهادية القوية للبرجوازية اليهودية ، التي تستغل اضطهاد الأقليات القومية اليهودية في شرق أوروبا لغرض السياسة الامبريالية الرامية إلى تأمين سيطرتها » (كتاب مفتوح من اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية ، ٢٦ نوفمبر ١٩٣٠) . ولتحقيق هذا الهدف ، فقد تحالفت الصهيونية عن طريق الانتداب ووعد بلفور مع الامبريالية البريطانية . ومقابل الدعم الذي تناله من الامبرياليين الانكليز ، فقد تحولت

الصهيونية إلى أداة للامبريالية البريطانية تستخدمها للقضاء على حركة التحرر القومية للجماهير العربية . وفي الوقت نفسه، فهي ذاتها تصنع أداةً من السكان اليهود في فلسطين ، بما في ذلك المراتب شبه – البروليتارية والبروليتارية .

٢ . هكذا ، في فلسطين ، بالاضافة إلى الاضطهـــاد الامبريالي ، فان الصهيونية ، بوصفهـــا الفصيلة النضالية للامبريالية، تقوم بكفاح إبادة استعماري ضد الجماهير الكادحة المحلية . وهذا الكفاح يمر بثلاث مراحل :

(١) توطين مهاجرين يهود في القطر تحت حمـــاية الحراب الانـكليزية . إن قسماً صغيراً جـــداً من هذه الهجرة بصورة عفوية تلقائية . والهجرة هي بالدرجة الأولى هجرة كوادر ، دُرّبت تدريباً خاصاً بوسائل تقدمهـــا البرجوازية اليهوديـــة (ما يسمّى « هالوتسيم ») ، وأُعدّت خصيصاً للاستيلاء على البلاد وإنشاء « دولة يهودية » . وحسب المعلومات التي تقدمها الهستادروت ، فإن أكثر من تسعين بالمئة من المهاجرين التي انضموا إليها في الخارج هم أعضاء في أحزاب صهيونية شتى : بوال زيون ، هيهولوتس ، تسابراي زيون ، الخ . ولا تزيـــد

نسبة العمال بين المهاجرين اليهود على خمسة بالمئة . والغالبية تتألف من عناصر برجوازية وبرجوازية ـ صغيرة ، وبينها عناصر معادية للثورة نفيت من الاتحاد السوفياتي الخ . وتبقى مع ذلك حقيقة أساسية هي أن عدد المهاجرين الذين دخلوا فلسطين في الأربعين سنة الأولى من وجود الصهيونية لم يتجاوز الألفين ، بينما بلغ عدد الوافدين في العشر سنوات الأخيرة ، التي تبدأ من فتح باب الهجرة اليهودية على يد الامبريالية البريطانية ، ١٣٠٫٠٠٠ (وقد بقي منهم في البلاد ٩٠٫٠٠٠)؛ وهذا يدل على ان الذين يأتون إلى فلسطين لا يأتون إليها « عرَضاً » أو « تلقائياً » ، بل يأتون إليها بقصد إنشاء دولة يهودية للصهاينة ، أي كسب حقوق امتيازية للبرجوازية اليهودية بالمقارنة مع البرجوازية العربية ، واستغلال الجماهير الكادحة في فلسطين ، وذلك بطرد أقسام من السكان العرب واستعباد الباقين . وقد أعلن أحد قادة الصندوق القومي اليهودي في خطاب له بتاريخ ٢٨ حزيران ١٩٣٠ ، بصراحة: « إذا أخذنا الأرض من العرب في فلسطين ، فستبقى أرض كافية لهم في بلدان عربية أخرى . ولن نوقف حل المسألة اليهودية ، من أجل بضعة ألوف من عائلات الفلاحين » .

(٢) المرحلة الثانية للاحتلال الصهيوني هي نزع ملكية الفلاحين العرب واستعمار هذه المناطق من قبل اليهود ، طرد العمال العرب وإحلال اليهود محلهم، طرد صغار رجال الأعمال والحرفيين العرب وتقوية الرأسمال اليهودي .

(٣) ومن أجل تحقيق هاتين المرحلتين، الهجرة والتوطين، اللتين هما المقدمة التي لا غنى عنها لخلق « دولة يهودية » ، فإن البرجوازية اليهودية في الخارج قد أنشأت صندوق تمويل كبير ، من أموال جماهير السكان اليهود الفقيرة (البرجوازية الصغيرة اليهودية) ، بوسائل الخداع وإثارة المشاعر الدينية ، ومن أموال البرجوازية اليهودية الضخمة .

جدول رقم ٤

المال المجموع للصندوق القومي اليهودي

فوق ثماني سنوات ونصف السنة	٣,٧٨٨,٩٥٢ ليرة
لعشر سنوات	١,٧٠٧,٢٢٩ ليرة
المجموع	٥,٤٩٦,١٨١ ليرة (فلسطينية)

ويجب أن نضيف إلى هذا المبلغ حوالي ١٥،٠٠٠،٠٠٠ ليرة (حسب غوفين ، وهو مدير في البنك الانكلو-فلسطيني) وظفتها البرجوازية اليهودية في بناء فلسطين ، دون المرور بالمؤسسات « القومية » ، بل بطريق مباشرة . إن هذا الرأسمال الكبير بالنسبة لظروف فلسطين ، مضافاً اليه القوات العسكرية للامبرياليين البريطانيين ، والنفوذ الهائل للجهاز الاداري الانكليزي ، قد حققت ، بالنسبة إلى مخططات الصهيونية في إقامة دولة يهودية ، نتائج تافهة (٦،٧٥٢ مستوطن مستعمر) ، ولكنها نجحت في مزاولة تأثير تخريبي على الجماهير العربية . إن ملكية الجماعات اليهودية قد ارتفعت على حساب الأراضي الريفية والمدينية من ٣٠٠،٠٠٠ دونم عام ١٩٢٩ إلى ١،٢٥٠،٠٠٠ عام ١٩٣٠ (تقرير سمبسون ، ص ٣٩) . إن مليون دونم ، أي ١٠٠،٠٠٠ هكتار ، لا تساوي شيئاً يذكر بالنسبة للاستعمار الجماعي والحل « المسألة اليهودية » . ولكن ، نظراً لأن جوع الفلاحين والبدو للأرض هو على ما هو عليه ، ومع وجود ألوف من الفلاحين الذين لا يملكون أرضاً وألوف يملكون أرضاً صغيرة جداً ، فإن الاستيلاء على حوالي مليون دونم ، أي ما يقرب من ثلث

الأرض الزراعية ، يعني الافقـار للفلاحين والبدو على نطـاق ووتيرةٍ لم يُسمعْ بهما من ذي قبل . إن عدد عائلات الفلاحين الذين طُردوا من أرضهم من قبل الصهاينة يبلغ ٢٠٠٠٠ .

إن استعمار الصهـاينة لفلسطين في فترة مـا قبل الحرب يختلف عنه في فترة ما بعد الحرب ، حين أصبحت الصهيونية جزءاً عضويـاً من الامبرياليـة البريطانية : ففي فترة ما قبل الحرب ، كان قسم من الفلاحين المنزوعي الملكية يجدون عملاً بين المعمّرين اليهود ، الذين كانوا **يستثمرونهم** ولكن دون أن يطردوهم ؛ أما منذ الحرب فقد رافق الاستعمارَ الصهيوني نضالٌ يستهدف إبادة الفلاحين والعمال العرب ، وذلك بتطبيق شعـار « كيبوش آفودا »* . إن العـمال اليهود الوافدين لا يكتفون بالاقامـة التي استولوا عليهـا من الفلاحين ، حيث يستوطنون بمساندة الجمعيات الصهيونية ، ولا يكتفون بإدخال مسألة الأيدي العاملة اليهودية في جميـع المشروعات التي يقيمها الرأسمال اليهودي وطرد الأيدي العاملة العربية ، ولا يكتفون بأن يطلبوا من الحكومة زيادة عدد العمال والمستخدمين اليهود

---

* شعار صهيوني معناه « الاستيلاء على العمل » .

(بالحقيقة ، في المؤسسات والمشروعات الحكومية ، إن المهاجرين الوافدين اليهود لا ينالون عملاً بالتساوي مع العرب وحسب ، بل أكثر بكثير منهم وعادة بصورة أسرع) ، بل نراهم فضلاً عن ذلك يطردون العمال العرب من تلك المستعمرات اليهودية التي كانوا يعملون فيها منذ سنوات . وحسب الاحصاءات الصهيونية ، في القدس مثلاً ، في السنة المنصرمة، انخفض عدد عمال البناء العرب من ١,٥٠٠ إلى ٥٠٠ ، بينما ارتفع عدد العمال اليهود من٥٥٠ إلى ١,٦٠٠؛ وفي المستعمرات اليهودية ، بقي من اصل ٨,٠٠٠ عامل عربي ٤,٥٠٠ فقط ، والآن هناك نضال يستهدف طرد الباقين .

(٤) على هذا النحو ، أضرّ النشاط الصهيوني بكل مراتب السكان العرب، باستثناء طبقة ملاكي الأرض . حسب الدكتور روبين ، إن تسعين بالمئة من الأراضي التي حصل عليها الصهيونيون قد باعها إليهم طبقة الأفندي العرب . فقد ارتفع سعر الأرض بقفزات ووثبات (٠,٣٠ ليرة للدونم قبل الحرب إلى حوالي ٣ ـ ٤ ليرة في الوقت الحاضر) . والاستعمار الصهيوني يعجّل في نزع ملكية الفلاحين من قبل الأسياد الاقطاعيين ، الذين يركّزون الأرض الفلاحية بين أيديهم ،

بقصد بيعها للصهاينة . فقط مؤخراً ، شرع قسم من ملاكي الأرض العرب يستخدمون أراضيهم لتَعْقيل اقتصادهم [أي جعله اقتصاداً عقلياً] ، مما خفف وتيرة بيع الأرض للصهاينة . بيد أن الملاكين ـ الأفندي ، في الحالة الأخرى ، لا يحصرون أنفسهم في نزع ملكية الفلاحين الصغار . وإذا كانت الصهيونية في السابق تساعد فقط على تعزيز المواقع المالية للرأسماليين والملاكين العرب ، فانها اليوم تحولهم إلى سلاح ناجع للاستعمار الصهيوني الامبريالي ، دافعة إياهم إلى نهب الأراضي الفلاحية بقصد إعادة بيعها للجمعيات الصهيونية .

(٥) المرحلة الثالثة في الاغتصاب الصهيوني هي خلق امتيازات سياسية لليهود ، بالمقارنة مع السكان العرب . ويجد هذا تعبيره في تسهيل الحصول على الجنسية لليهود ، وإعطاء « الوكالة اليهودية » وظائف استشارية ، ومنح امتيازات للبلديات اليهودية ، والاعتراف الرسمي باللغة العبرية القديمة ، الخ. كل ذلك يخلق للبرجوازية اليهودية فرصة الاستمرار في خداع الجماهير اليهودية حول فكرة « دولة يهودية » وزيادة اضطهاد الجماهير العربية . ولهذه الأسباب فان النضال ضد الصهيونية هو تعبير طبيعي وحتمي عن استنكار الجماهير العربية ، لدرجة

انه ليس ثمة حزب واحد من هذه الأحزاب العربية ، بما فيها الأحزاب الممثلة للأفندي والكومبرادور ، يستطيع أن يرفض استخدام الشعارات المناهضة للصهيونية . وبقدر ما ان جمهور السكان اليهود في فلسطين هو تحت النفوذ المباشر والقيادة المباشرة للصهيونيين ، الذين يقودون سياستهم الامبريالية باسم الأمة اليهودية ومن أجل دولة يهودية ، فان الحركة المناهضة للصهيونية تظهر في شكل حركة مناهضة لليهود ، وتعطي فرصة للامبرياليين الأنكليز والبرجوازية اليهودية ، جنباً إلى جنب مع ملاكي الأرض العرب ، لكي يحوّلوا غضب الجماهير العربية في قناة النضال ضد الأقلية القومية اليهودية **ككل** .

(٦) مع ذلك ، إنه لخطأ كبير أن يُنظر إلى الامبريالية والصهيونية والسكان اليهود ، **فقط** ككلٍ عضوي واحد (وهم ، في الوقت الحاضر ، كذلك بالنسبة للجماهير العربية) ، وأن ليس بينهم أي **تناقضات داخلية** تنسف هذه القوى الظالمة من الداخل . يجب على الجماهير العربية التي يقودها الحزب الشيوعي ، في نضالها التحرري القومي والاجتماعي ، ان تعير انتباهاً دقيقاً لهذه التناقضات الداخلية المعادية للقوى المستعمِرة ، وان تستفيد منها على نطاق واسع جداً . بالدرجة

الأولى ، إن الأزمة الحادة للامبريالية والضعف المتزايد للامبراطورية البريطانية يفرضان على الامبريالية الانكليزية أن تلجأ إلى شتى المناورات على حساب تحالفها مع الصهيونية . والامبرياليون مهتمّون بامتيازات ونمو الأقلية اليهودية التي تدعمها الحراب الانكليزية ، ولكنهم حتى الآن لا يرغبون في إنشاء دولة يهودية . ولهذا السبب ، ثمة نزاع بين مطالب البرجوازية اليهودية التي تريد المضي إلى بعيد ، والامبريالية البريطانية . إلا أن هذه النزاعات لا يمكن اعتبارها جدية ، وبخاصة اعتبارُها علائمَ قطيعة . ومع ذلك ، فإن هذا الانقسام يكشف الخداع الصهيوني للجماهير اليهودية في بولونيا وأميركا الخ ، ويُضعف نفوذ الصهيونية ، مما يجدُ تعبيراً عنه في انخفاض ورود المال إلى فلسطين . ونتيجة ذلك ، يظهر بالدرجة الأولى نزاع بين القيادة الصهيونية وبين هؤلاء المهاجرين اليهود الذين تتوقف حياتهم على مساعدات الجمعيات الصهيونية ، والذين كثيراً ما لا يكون الصهيونيون قادرين على إعطائهم عملاً بل ولا حداً أدنى من الإعانة (في سنة ١٩٢٦ ، كان يوجد أكثر من ١٠٫٠٠٠ عاطل عن العمل من المهاجرين) . ثانياً ، إن الصهاينة ، من أجل تعزيز قضيتهم الاستعمارية

وإرغام المهاجرين اليهود على أن يلعبوا دور الغاصبين ، لا يمكنهم أن يقصروا عملهم على التحريض والخداع ، بل لا بدّ لهم أن يقدموا للعمال اليهود بعض المكاسب الاقتصادية . ولهذا الغرض ، فان البرجوازية الصهيونية ، جنباً إلى جنب مع حزب بوال زيون ، قد نظّمت الهستادروت ، تنظيم العمال اليهود ، الذي أوكلت إليه مهمة تأمين وضع ممتاز للعمال اليهود في سوق العمل، مقابل إدخالهم في جبهة «على النطاق القومي». إن البرجوازية اليهودية ، عبر ما يسمى الصندوق «القومي» ، والهستادروت ، تنشيء ، بالدرجة الأولى ، شبكة كاملة من « المخافر » الزراعية ، المقامة في أماكن استراتيجية تسهّل الاستيلاء التدريجي على مجموع البلاد .

وليس المعمّر اليهودي بأي حال « فلاحاً مضطهَداً » ـ بالمقارنة مع العرب ، انه يشغل موقع صاحب مزرعة : إن متوسط الرأسمال الأساسي للفلاح اليهودي (الفرد) في فلسطين يبلغ ، في المستعمرات الصهيونية ، ١٠٠٠ ليرة ، بينما يبلغ الرأسمال الأساسي للفلاح العربي (مع عائلته) من ٢٠ إلى ٣٠ ليرة . والأرض تشتريها الجمعيات الصهيونية وهي ملك للبرجوازية اليهودية ، وموظفي الحكومة الخ . وكثيراً ما

يكون المزارع اليهودي أو عضو « الجماعية » الزراعية الصهيونية ، بالطبع ، رجلاً فقيراً ، من حيث الجوهر ؛ ومع ذلك ، فهو ، بالمقارنة مع الفلاح العربي ، في طبقة ممتازة ، تنال من البرجوازية المدارس والمستشفيات ، وتشكل بالتالي سنداً متيناً للبرجوازية اليهودية ضد الكادحين العرب .

فقط في تلك الحالات التي لا تكون فيها البرجوازية الصهيونية في موقع يمكنها من تنفيذ التزاماتها وينحدر فيها المستوى المعاشي للمستوطنين اليهود انحداراً قوياً ، فقط في هذه الحالات يرى المستوطنون اليهود أنفسهم مضطرين إما « للفرار » من الجبهة الامبريالية ، أي ، الهجرة من فلسطين، أو للانتقال إلى المعسكر الثوري . إن النزاعات بين العمال اليهود والرأسماليين اليهود هي واحد من أهم عوامل نهوض الحركة الثورية ، وهي تدفع البروليتاريا اليهودية إلى الالتحاق بجبهة النضال ضد الامبريالية . إن امتيازات العمال اليهود ، حتى بعد أن تركوا مرحلة « الوصاية » وأصبحوا شغيلة بالاجرة ، يمكن أن تلخص بما يلي : ١) أفضلية في الحصول على عمل في المشروعات اليهودية (مؤسسة « ناشر » الكبيرة، محطات الطاقة الكهربائية ، الخ . ٢) أجور أعلى ، بالمقارنة

مع العرب . ٣) عدد من المؤسسات الخاصة ، المغلقة بوجه العمال العرب ، مثلاً كصندوق المعالجة الطبية بالمعمل . ٤) بشروط أفضل في العمل ، يوم عمل أقصر ، الخ .

ولكن بالقياس مع التوسع الصهيوني، إن هذه الامتيازات آخذة في الزوال تدريجياً . هناك اتجاه نحو انخفاض في أجور العمال اليهود ، التي ، رغم بقائها أعلى بكثير من أجور العمال العرب ، إلا أنها تسير نحو التساوي بالتدريج . وعلى هذا الأساس ، تظهر منازعات بين العمال اليهود والبرجوازية . إن العمال، بشكل خاص يرون بوضوح عدم ثبات امتيازاتهم، حين يضطرون إلى الدخول في نضال كامل ضد رأسمالي من قوميتهم ذاتها (المستوطن صاحب المعمل) أو حين يُلقي بهم هذا الرأسمالي في الطريق (البطالة) .

جدول رقم ٥

الأجور الوسطية للعمال العرب واليهود بالاستناد إلى احصاءات الحكومة لعام ١٩٢٩ (ص ٢٧)

(بالمِل * في اليوم)

العمال الزراعيون	اليهود	العرب
المهَرة	٢٥٠ ـ ٣٥٠	١٥٠ ـ ٢٥٠
غير المهرة	١٧٥ ـ ٢٢٠	٨٠ ـ ١٢٠
النساء	١٥٠ ـ ٢١٠	٥٠ ـ ١٠٠
الأولاد	ـ ـ	٥٠ ـ ٨٠
عمال الصناعة والبناء		
الصنف الأول	٣٥٠ ـ ٧٠٠	٣٥٠ ـ ٧٠٠
الصنف الثاني	٢٥٠ ـ ٣٦٠	٢٠٠ ـ ٣٠٠
غير المهرة	٢٠٠ ـ ٣٠٠	١٠٠ ـ ١٦٠

* المِل = ١٠٠٠ ليرة فلسطينية ، مـــا يعادل كوبك روسي واحد تقريباً .

(٧) إن سير التمايز الطبقي **داخل** البروليتاريا اليهودية قد زاد وضوحاً في السنوات الأخيرة . في المشروعات الكبرى ، يجري خلق جماعة من العمال ذوي الامتياز ، يشكلون مرتبة « أرستقراطية عمالية » يهودية . هؤلاء عمال في مشروعات (روتنبرغ ، تعاونيات الهستادروت ، الخ) . وبالتعارض معهم نجد جمهور العمال غير المهرة ، الذين كثيراً ما يعانون من البطالة والجوع والاستثمار الشديد . وينتمي أيضاً إلى الأرستوقراطية العمالية قسم من العمال « الشرقيين » (يهود جيورجيا وبوخارة وغيرهم من الذين يعملون في المستعمرات والمشروعات الحكومية) .

إلى جانب الهستادروت ، هناك أحزاب صهيونية شتى ، تمتد من الفاشست المعلنين إلى الاشتراكيين الفاشست اليمينيين و « اليساريين » ، تلعب دوراً لا يُهمَل في استعباد العمال اليهود. وعلى الرغم من أن هذه الأحزاب تتألف من البرجوازية الصغيرة ، إلا أنها تعبّر في الواقع وبأوضح شكل عن الجهود القوية للبرجوازية اليهودية .

إن الاشتراكيين الفاشست اليمينيين (« ميفالاغا موهدت ») ، الذين يعبرون عن مصالح المرتبة الممتازة من

الطبقة العاملة اليهودية ، والذين يطبقون عملياً أقسى نشاط استعماري مناوىء للعرب (كيبوش أداما ، كيبوش آفودا) ، هم أكثر عملاء البرجوازية اليهودية والامبريالية ولاءً بين العمال اليهود . ويحميهم بجُمَلٍ يسارية **الاشتراكيون الفاشست « اليساريون »** (حزب بوال زيون) ، الذين يلعبون بألفاظ ماركسية ، بينما هم يشكلون في الواقع أكبر عائق أمام جماهير العمال اليهود في طريقهم إلى معسكر النضال الطبقي الحقيقي ضد البرجوازية (أصحاب المعامل ، المنظمات الصهيونية ، المستوطنون — المعمرون) ، إلى معسكر حركة التحرر القومي والاجتماعي للجماهير العربية .

منشور باللغة العربية — ينشر بالروسية

في « **إلى الأمام** » ، — للمرة الأولى

صحيفة الحزب الشيوعي الفلسطيني ، ١٩٣١ .

وباللغة العبرية في كرّاس منفصل ، ١٩٣١

فهرس

٢ . النضال من أجل مخرج ثوري للأزمة .

٣ : مطالبنا الجزئية ومهمات النضال والتنظيم في المستقبل المباشر .

الوثيقة الثالثة : ص ١١٩

آ . مهمات الحزب الشيوعي الفلسطيني في الأرياف .
(قرار المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني ١٩٣١)

ب . العمل بين الفلاحين والنضال ضد الصهيونية .
(موضوعات صادقت عليها سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني)

١ . المسألة الزراعية في فلسطين .

٢ . إصلاح زراعي أو ثورة زراعية .

٣ . النضال ضد الصهيونية .

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٠	١٠	« حليفتها »)	« حليفتها »
٣٩	٥	١٧٣١	١٩٣١
٧٢	١٤	ومصادة	ومصادرة
٧٢	١٦	إلقاء	إلغاء
٨٩	١٢	محدودة	محدّدة
١٠٠	٤	الملاكين	الملايين
١٠٠	١٤	ويقوم	ويوم
١٠٨	٦	يتعمد	يعتمد
١٠٨	١٠	يلسبان	يلبسان
١٤٨	٧	سمكية	سميكة
١٥٩	١٠	الهجرة	الهجرة يحدث
١٦٣	١٢	بالاقامة التي	بالاقامة في الأراضي التي